شفرة الموت

كل رسالة بتقربك خطوة للحقيقة...أو الموت

عمر عطيه طه

شفرة الموت

رواية
لعمر عطيه طه

رقم الإيداع: 2024/21636

الترقيم الدولى: 978-977-95-0569-5

الفهرس

مقدمة ١

الفصل الأول..... ٢

رسالة ٣

تكرار ٢٨

اتصال ٣٧

دليل ٥١

الفصل الثانى..... ٦٨

تحقيق ٦٩

حفلة ٨٤

الفصل الثالث..... ٩٠

نص حياة ٩٣

استهداف ١٠١

اكتشاف ١٠٨

حقيقة ١١٩

النهاية ١٢٦

مقدمة

بداية كل رواية تختلف من شخص لآخر، فالبداية لشخص قد تُعتبر النهاية لآخر. لذلك قبل أن نبدأ، يجب أن نفكر فى ما هو تعريف البداية. هل هى الحدث الصغير الذى أدى الى الحدث الأكثر أهمية، ام هى نقطة انطلاق تأثيرنا على الحدث؟ وهل البداية تختلف من منظور شخص إلى آخر حتى لو كانوا جميعهم مرتبطين بنفس الحدث ؟

تبدأ روايتنا من لحظة فهم الحقيقة، حقيقة أنه لا يوجد ثابت فى الحياة، وأن كل شىء قابل للتغيير. ومع ذلك، تبقى لحظة التردد دائمًا حاضرة عند كل قرار مصيرى: هل اتقدم وافعلها ام لا؟ هل هذا القرار الصحيح ام هى مجرد اوهام من نسج خيالى؟ وهل انا حتى قادر على فعلها؟ فى النهاية تم اتخاذ القرار وإنهاء التردد، يتم رفع السلاح وتوجيه فوهة المسدس إلى رأس الضحية وبدون لحظة تردد أخرى يتم سحب الزناد لتخترق الرصاصة رأس الضحية مُعلنة عن إنتهاء حياة وبداية ما يمكن أن يكون حياة أخرى .

الفصل الاول

رسالة

٢٠٢٥/١/١

في يوم من أيام شهر يناير الباردة، فى تمام الرابعة عصرًا، دخل الضابط عمر برفقة الضابط حسين إلى شقة الضحية، الدكتورة سعاد سعيد. فور دخولهم لفت انتباهم وجود بقعة دماء أمام الباب. استمروا فى التنقل بين الغرف، يفحصوا كل زاوية بعناية وكأنهم يبحثون عن شئ غير مرئى. عندما وصلوا إلى غرفة النوم تجمد عمر في مكانه للحظات، وقد استولى عليه شعور بالرهبة من شكل الجريمة المروع. فطوال ١٨ عامًا من العمل فى مجال التحقيقات لم يشهد جريمة بهذا الشكل .

كانت الدكتورة سعاد جالسة على سرير مغطى بالدماء، نصفها العلوى عارٍ وقلبها منتزع من صدرها. يداها الأثنين ممددتين بجانبها؛ اليد اليمنى فارغة، بينما اليسرى تحمل القلب وكأنها تقدمه كدليل أو رسالة. ما زاد المشهد رعبًا هو أن عينى الضحية كانت مثبتة نحو حائط كُتب عليه بالدم: " حينما تكون وظيفة القلب أن يضخ الدم فقط، فلا يستحق هذه الوظيفة ".

كان واضحًا أن الجريمة لم تكن مجرد جريمة قتل عادية، بل تحمل رمزية وغموضًا يتطلبان تحقيقًا دقيقًا وفهمًا أعمق للتفاصيل. بعد استعادة عمر لرباطة جأشه، اقترب من الجثة بحذر محاولاً جمع أكبر قدر ممكن من التفاصيل لفهم ما حدث. لاحظ أن عنق الضحية قد تعرض للنحر، بالإضافة إلى وجود كدمة فى أعلى يمين جبينها، بعد فحص سريع لمسرح الجريمة، لم يجد أى دلائل تشير إلى حدوث مقاومة او اعتداء جنسي على الضحية، رغم أن ذلك لا يمكن استبعاده بشكل نهائى حتى ظهور نتائج تقرير الطب الشرعى .

أثناء تفحص عمر لمسرح الجريمة، ألتفت إلى حسين فوجده واقفًا بهدوء، يُراقب الجثة بتركيز ويُدون ملاحظات في دفتر صغير يحمله. تعجب من هدوء حسين وثباته، خاصة وأن هذه أول قضية قتل يتعامل معها. فكيف

يمكن أن يبقى هادئًا وسط كل هذة الفوضى؟ تذكر عمر اللقاء الأول بينهما؛ حيث لاحظ أن حسين شخص هادئ، قليل الكلام، بارد المشاعر إلى حد ما. لا يبدو أن تلك الأمور التي تزعزع الآخرين تثير فيه أي قلق، كما لو كان يمتلك قدرة فطرية على عزل مشاعره عن العمل. فبالرغم أن هذه الجريمة كانت قادرة على التأثير فى أعتى المحققين، إلا أن حسين بدا وكأنه في عالم آخر، كأنما لا تتأثر روحه بما يرى .

لكن الأهم من كل ذلك هو أن الجميع يعرف أن حسين يبجل عمله بشكل كبير. فهو منظم ودقيق ويُتقن كل مهمة تسند إليه. وهو معروف بكفاءته العالية وسجله المشرف في عمله، وبفضل اهتمامه بالتفاصيل وقدرته على تحليل الأمور بموضوعية، كان دائمًا يحقق نتائج مبهرة في تحقيقاته، مما جعله موضع ثقة من زملائه وكبار المسؤولين على حد سواء. وهذا هو ما يُعتبر الأهم .

توجه عمر إلى الدكتور عادل حسن، الطبيب الشرعي المسؤول عن القضية لمعرفة رأيه حول وقت وفاة الضحية املاً أن يعطيه الدكتور تقديرًا زمنيًا يمكنه من ربط الأحداث وترتيب تفاصيل القضية. لكن الدكتور أخبره أن بسبب انخفاض درجة الحرارة، سيحتاجوا لإجراء المزيد من الفحوصات لتحديد الوقت بدقة. الإجابة أتت محبطة لعمر، حيث تذكر أن الطقس البارد يعقد الأمور ويجعل تحديد وقت الوفاة بدقة أمرًا أكثر صعوبة. نظر مجددًا إلى مسرح الجريمة، ثم ألتفت للدكتور قائلاً : رغم بشاعة الجريمة، لدى شعور أن القاتل لم يترك أى أثر .

- الدكتور بجملة مختصرة : سنحتاج إلى المزيد من الوقت للعثور على الأدلة .

فهم عمر من نبرة الدكتور أنه يريده أن يتركه، وأن التحلى بالصبر وإعطاء فريق الطب الشرعى الوقت اللازم هو الأفضل في هذه المرحلة الحساسة، فقرر تركه والتوجة لأستجواب الشهود .

الشاهد الأول، سما محمد مرغني، سكرتيرة الدكتورة سعاد، والتي بدت عليها علامات الارتباك والقلق. كان من الواضح أن الموقف صعبًا عليها فقد كانت تعرف الضحية بشكل شخصى وأمضت وقتًا طويلًا في العمل معها. لاحظ عمر ارتباك سما، وأدرك أن الضغط عليها لن يكون مفيدًا لذا حاول طمأنتها ومنحها الفرصة للهدوء وتجميع أفكارها .

- شعرت سما بالامتنان لهذا التعاطف، وبدأت تأخذ أنفاسًا عميقة لتهدئة نفسها قبل أن تبدأ في الحديث. رغم محاولتها للهدوء، بدأت سما حديثها بتلعثم واضح، وهي تسترجع الأحداث : عندما تأاخرت الدكتوورة عن العمل، حااولت الاتتصال بها عدة مررات ولكن بدون جدوى. كان الأمر غريبًا لأنها دائمًا تخبرني إذا كانت ستتأخر لأى سبب، بعد مرور ساعة كاملة دون سماع أى شيء منها، قررت الذهاب إلى منزلها. رننت الجرس عدة مرات وطرقت الباب لكن لم يكن هناك أى استجابة. أثناء ذلك خرج أستاذ محمد جارها واقترح عليّ الاتصال بها مرة أخرى، إذا سمعنا رنين الهاتف من داخل الشقة فقد تكون بحاجة إلى المساعدة وسنضطر لكسر الباب وإذا لم نسمع شيئًا فقد تكون خارج المنزل ولا تستطيع الرد. عندما اتصلت مرة أخرى سمعنا صوت الرنة يأتى من داخل الشقة وهو ما جعلنا نتخذ قرار كسر الباب، وعندما دخلنا وجدنا الدكتورة فى الحالة الل...

ثم بدأت فى البكاء .

طمئنها عمر ببعض الكلمات وهدئ من روعها ثم قدم لها منديلاً لتمسح دموعها وطلب احضار كوبًا من الماء لها، ليمنحها فرصة لالتقاط انفاسها قبل استئناف الأسئلة وسؤالها إذا لمسوا أى شيء عند دخولهم .

- سما بصوت مضطرب وهى تمسح دموعها : أنا كنت مصدومة من المنظر ومش قادرة أتذكر .

- حسنًا لا تقلقى بشأن هذا، ماذا حدث بعد ذلك ؟

- أستاذ محمد قرر إننا نخرج ونتصل بالشرطة .

- قرار جيد. ومتى آخر مرة رأيتِ فيها الدكتورة ؟

- كان بعد الحادية عشر مساءً، هذا هو موعد انتهاء آخر حالة. الدكتورة تغادر ثم أقوم بتنظيف العيادة، وبعد ذلك وأتوجه إلى المنزل .

- لاحظتِ أي شيء غريب يتعلق بأي مريض أو شخص قد يكون لديه خلاف مع الدكتورة ؟

- لا، كل مريض يأتي في موعده المحدد، ولا يتقابلوا إلا أثناء الدخول والخروج. حديثهم مع الدكتورة يكون خاصًا، ولا أعلم عنه شيئًا.

انتهى عمر من الأسئلة ثم شكر سما وطلب لها سيارة لتوصيلها للمنزل. ثم انتقل لاستجواب الأستاذ محمد جار الدكتورة سعاد، الذي بدا أكثر هدوءًا وثباتًا من سما، وأخذ يروى التفاصيل فى هدوء .

- بينما كنت أستعد للخروج، سمعت ضجة قوية فى الخارج. خرجت لأرى ما يحدث، فوجدت شخصاً يطرق بقوة على باب الدكتورة. سألت عما يجري فقالت إن الدكتورة تأخرت عن الذهاب للعمل، وأنها اتصلت بها عدة مرات دون جدوى وأضافت أن الدكتورة اعتادت إعلامها عند تأخرها مما جعلها تشعر بالقلق من احتمال حدوث شيء لها فقررت أن تأتي إلى منزلها. اقترحت أن نعاود الاتصال بها مرة أخرى حتى سمعنا رنين هاتفها من الداخل،عندها قررت كسر الباب وعندما دخلنا، وجدناها متوفاة بهذه الطريقة. عندما وجدتها ورأيت أن قلبها خارج جسدها عرفت أنها جريمة قتل. أخذت سما وخرجنا بعيدًا لتجنب تأثير منظر الجريمة عليها وللحفاظ على موقع الجريمة، ثم اتصلت بالشرطة .

- عمر : تصرف حكيم فى موقف مرعب .

- شعر محمد بنوع من الاتهام في نبرة عمر، فأوضح موقفه بلهجة يغلب عليها الغضب : أنا دكتور جراح حضرتك. على الرغم من الوضع، فإن

طبيعة عملي بتمنحني القدرة على التعامل مع هذه المواقف بشكل أفضل من الآخرين .

لاحظ عمر انزعاج الدكتور من توجيه الشك له فبادر بالاعتذار وطمأنه بأنهم يحاولوا فقط جمع الحقائق دون توجيه أي اتهامات. اعتذر الدكتور أيضًا عن انفعاله، ليخبره عمر بأنه لا توجد مشكلة، ثم استأنف الأسئلة .

- هل يوجد أحد آخر دخل معكم البيت ؟

- لا، الجيران نزلوا بعد الفوضى التي حدثت، لكني منعت أي شخص من الدخول حتى وصلتم .

- قرار جيد. سمعت أي أصوات غريبة في شقة الدكتورة بعد الساعة ١١ مساءً ؟

- أنا رجعت على منتصف الليل، ولم أسمع أي شيء بعدها .

- ماذا عن عائلتك ؟

- أنا أعيش بمفردى .

- حسنًا هذه هي كل الأسئلة في الوقت الحالي، لكن مع مرور الوقت قد نكتشف أشياء جديدة تجعلنا نحتاج إلى مساعدتك مرة أخرى. شكرًا لك، ونأسف إذا استغرقنا الكثير من وقتك .

- لا شكر على واجب .

بعد انتهاء استجواب الدكتور محمد، عاد عمر إلى شقة الضحية ليواصل حديثه مع الطبيب الشرعي حول مستجدات التحقيق وما قد تقدمه الأدلة الجنائية : أنا عارف أنك لسه هتحتاج وقت أطول لمعرفة وقت الوفاة بدقة، لكن هل يمكن تقديره بحلول الساعة الثانية عشر تقريبًا ؟

- نعم يمكن أن يكون قريب من ذلك .

- وبالنسبة للأدلة، عثرت على شئ ؟

- للأسف لأ .

- عمر مستغربًا : كيف؟ لم تجد بصمة أو شعرة؟ أي شيء يُظهر أنه كان هنا وسط كل ما حدث ؟

- من المرجح أنه كان مغطى بالكامل من رأسه حتى قدميه، ولا توجد أي دلائل على أنه استخدم منظفات أو أي شيء، رغم أن لديه الوقت. أعتقد أنه عرف أنه لم يترك دليل واحد يُدينه لذلك ترك المكان بهذه الطريقة .

- هذا يعني أننا أمام قاتلاً محترفًا. تعتقد أنها المرة الأولى التي يقتل فيها ؟

- من حيث التنظيم والتخطيط، يبدو أنه يعرف جيدًا ما يقوم به. لكن طريقة استخراج القلب من الصدر تشير إلى أنه شخص هاوي، حيث تم قطع أجزاء كبيرة منه أثناء الاستخراج، كما أن عدم ثبات اليد يظهر جليًا .

- قاطعه عمر : لكن من الصعب على أي شخص أن يرتكب جريمة بهذا الشكل ويداه ثابتتان .

- ليس بالأمر الضروري. إذا قام شخص ما بتكرار نفس الفعل عدة مرات فإنه مع الوقت يصبح بارعًا فيه، بغض النظر عن صعوبته. ما يمكنني قوله هو أن لديه معلومات ودراسة كافية عن جسم الإنسان، ولكنها كانت المرة الأولى التي يستخرج فيها عضوًا من جسد، ألا أذا تعمد فعل ذلك لإبعاد الشكوك عنه. أما إن كان قد ارتكب جريمة قتل من قبل أم لا، فلا أستطيع الجزم بذلك .

بعد حديثه مع الطبيب الشرعي، بدأ عمر يستوعب أن الجاني قد يمتلك خبرة في إخفاء آثاره ولديه القدرة على تجنب ترك أي دليل وراءه بالاضافة إلى معلوماته الطبية عن جسم الانسان .

رغم ذلك، فإن طريقة تنفيذ الجريمة تشير إلى أنه قد يكون مبتدئًا في بعض الجوانب، مما يزيد من تعقيد التحقيق ويطرح تساؤلات حول دوافعه وخبرته السابقة .

شعر عمر بضرورة إعادة تنظيم أفكاره ومراجعة النتائج التي توصلوا إليها حتى الآن. لذا قرر التحدث مع حسين ومناقشة الأمور بشكل منهجي. توجه إلى باب الشقة وبدأ في استعادة تفاصيل ما حدث منذ دخولهم الشقة للمرة الأولى للدكتورة سعاد .

- عمر : لنراجع استنتاجاتنا حتى الآن .

أمسك حسين بدفتر ملاحظاته وأدار الصفحات حتى وصل إلى النقطة المرجوة، ثم نظر إلى عمر متهيئًا لاستقبال الأفكار والتحليلات .

١- بقعة الدم عند الباب

تشير بقعة الدم الموجودة عند الباب إلى أن القاتل لم يكن لديه أي نية للتواصل أو التفاهم مع الضحية. لقد جاء مخططًا لعمله، وكان يعرف تمامًا ما ينتظره عند فتح الباب. بضربة واحدة فور فتح الباب، أثبت القاتل عزمه على ارتكاب جريمته دون تردد .

٢- الإصابة في الجبهة

الإصابة في أعلى يمين جبهة الضحية تظهر أن القاتل أطول منها، وقد استخدم يده اليسرى في الضرب. هذه التفاصيل تعطي فكرة عن المظهر الجسدي للقاتل وتساهم في تقليص قائمة المشتبه بهم .

٣- رسالة الدم ووضع القلب

الرسالة المكتوبة بالدم ووضع القلب في يد الضحية تشير إلى أن القاتل كان لديه معرفة مسبقة بالضحية. قد يكون الهدف من ذلك إيصال رسالة معينة

لشخص ما أو ربما يكون بدافع من الانتقام الشخصي نتيجة لحدث في الماضي .

٤- طريقة استخراج القلب

الطريقة غير الاحترافية لاستخراج القلب توحي بأن القاتل قد يكون مبتدئًا أو يحاول إظهار ذلك. قد تكون هذه هي المرة الأولى التي يرتكب فيها جريمة قتل، على الأقل من هذا النوع .

٥- احتمالية أن يكون القاتل مريضًا نفسيًا

نظرًا لأن الدكتورة سعاد كانت تعمل كطبيبة نفسية، قد يكون القاتل أحد مرضاها. من الممكن أن تكون لديه دوافع نفسية لارتكاب الجريمة أو ربما يعاني من اضطراب عقلي دفعه لفعل ذلك .

٦- توقيت الجريمة

يشير توقيت الجريمة إلى أن القاتل كان يراقب الضحية لفترة، مما يعني أنه كان على دراية بجدول عملها وروتينها اليومي. وهذا يدل على أن الجاني كان لديه الوقت والتخطيط اللازم لتنفيذ الجريمة في الوقت المناسب .

٧- عدم وجود أدلة مادية

غياب الأدلة المادية يعكس ذكاء القاتل وحرصه على عدم ترك أي أثر. هذا يشير إلى أننا نتعامل مع مجرم ذي ذكاء عالٍ وقد يكون لديه معرفة بأساليب التحقيق الجنائي .

- حسين مقاطعًا : البحث عن أدلة ما زال جاريًا .

- لا أعتقد أن هناك شيء أخر سيظهر، فبالرغم من عنف الجريمة، يتضح أن التخطيط لهذه العملية تم منذ فترة طويلة، وليس مجرد نوبة غضب أدت إلى القتل على الفور .

- هذا يعني غالبًا أنه سيكرر فعلته مرة أخرى .

- عمر بتعجب : غالبًا!... طبعًا سيكرر فعلته مرة أخرى. فهذا النوع من الجرائم عادةً ما يشير إلى نمط مستمر. من المهم حاليًا أن نتحقق مما إذا كان أي من سكان العمارة قد رصد شخصًا غريبًا يدخل المبنى أو يراقبه من بعيد خلال الأسبوع الماضي. يجب علينا مراجعة تسجيلات الكاميرات للبحث عن أي لقطات قد تسجل تحركات القاتل، بالإضافة إلى استجواب معارف الدكتورة للبحث عن أي شخص قد يكون لديه مشاكل معها أو إذا تلقت تهديدات مؤخرًا. كما ينبغي مراجعة سجلات المرضى والتركيز على الذين انتهت فترة علاجهم في الأشهر الثلاثة الماضية لمحاولة ربط أي منهم بالجريمة. من الضروري أن تتم هذه الإجراءات بأقصى سرعة لنتمكن من منع الجرائم القادمة .

بعد وضع الخطة، أومأ حسين برأسه بالموافقة واستعد للمغادرة لتنفيذ الخطوات المتفق عليها. استفسر عمر عن عائلة الضحية للحصول على مزيد من المعلومات حول حياتها الشخصية وأي مشكلات محتملة قد تكون تعرضت لها واكتشفوا أن الدكتورة لديها ابنة. تم التواصل معها لكنها لم ترد على المكالمات. فحصلوا على معلومات حول مكان عملها، وهناك شخص متجه الان لإبلاغها بالوضع .

مع الانتهاء من الترتيبات الأولية للتحقيق، شعر عمر بالقلق تجاه زوجته (سارة) التي تعمل أيضًا كطبيبة نفسية. ساورته شكوك حول ما إذا كانت هذه الجريمة مرتبطة بسلسلة من الجرائم التي تستهدف الأطباء النفسيين. حاول الاتصال بها للاطمئنان عليها، لكن دون جدوى. ازداد قلقه، فقرر الاتصال بعيادتها للتأكد من سلامتها. أخبرته السكرتيرة أن سارة مشغولة مع حالة داخل الغرفة. شعر عمر ببعض السكينة وطلب من السكرتيرة أن تجعل زوجته تتصل به بعد انتهاء الجلسة .

رغم شعوره بالاطمئنان جزئيًا بعد معرفة أنها تعمل بشكل طبيعي في العيادة، إلا أنه ظل متوترًا حتى تلقى مكالمتها بعد فترة، عند الساعة السادسة مساءً .

- خير يا عمر، سمعت إنك اتصلت ؟

- كنت حابب أتطمن عليكِ وأقول لكِ إنه بعد ما أخلص شغل، هستناكِ فى العيادة ونروح العشاء سوا .

- أحنا اتفقنا اننا هنتقابل فى المطعم .

- لدى قضية قريبة منك، سأنهي ما عليّ من مهام، ثم نذهب معًا .

- حسنًا، إذا كنت تريد هذا فميعاد انتهاء أخر حالة لدى سيكون فى الساعة الثامنة .

- حسنًا سأصل قبل هذا بقليل وأنتظرك .

يسمع عمر صوت كلام من جهة سارة .

- سارة : مضطرة أقفل دلوقتي الحالة الجديدة ستدخل. مع السلامة .

- سلام .

بعد المكالمة، جاءت ابنة الضحية .

يعزيها عمر ويتآسف على خسارتها، ويعدها بالقبض على القاتل .

رغم أن عمر لم يكن معتادًا على التعبير عن مشاعره أمام الغرباء، إلا أنه بذل كامل جهده ليكون مؤثرًا ومواسيًا قدر المستطاع. كان يدرك أن مهمته ليست مقتصرة على جمع الأدلة فقط، بل تشمل أيضًا تقديم الدعم للعائلات المتأثرة بالجرائم .

بعد محاولته لمواساتها وتهدئتها، استهل بسؤالها عن عملها .

- أسماء وهى تمسح دموعها : ممكن نأجل الأسئلة .

- انا اسف لكن فرص حل القضية بتزيد كل ما بنعرف أكثر فى الساعات الاولى لحصولها .

- تنهدت اسماء فى محاولة للتحكم فى مشاعرها ثم تحدثت : محاسبة في مكتب حسين الهلالى .

- ومكان سكنك ؟

- هنا مع والدتي .

- عمر بتعجب لكن أمس!....

- لتقاطعه اسماء : كنت بحتفل مع أصدقائي بمناسبة رأس السنة من الساعة تسعة بالليل لحد ما نمت عند ريم صاحبتى بعد الاحتفال كانت الساعة واحدة تقريبًا . ثم ذهبنا إلى العمل معًا فى الصباح .

- وكيف عرف القاتل أن والدتك ستكون بمفردها ؟

- لا أدري، لكن في الأربع سنين الماضية كنت أحتفل مع أصدقائي ثم أذهب إلى العمل... توقفت اسماء لحظة ثم عبّرت عن استيائها من الأسئلة : لماذا تطرح كل هذة الأسئلة على هل يتم اتهامي بقتل والدتي ؟

سرعان ما أوضح عمر سوء الفهم، مؤكدًا أنه يقوم فقط بجمع جميع الأقوال. وأشار إلى ضرورة طرح الأسئلة حتى وإن احتوت على بعض الاتهامات لأنها قد تكون مفتاحًا لحل القضية. ثم أكمل وعلامات الغضب ما زالت على وجه اسماء .

- ومن يعرف ببقائك عند صديقتك بعد الاحتفال ؟

- ريم وشهد. في السنوات الأربع الماضية، احتفلنا ثم عدنا إلى منازلنا معًا، لأننا نعمل معًا ونذهب إلى الشغل سويًا في اليوم التالي .

- ولا يوجد أحد اخر يعلم بهذا ؟

- أسماء تهز رأسها بالنفى : لست متأكدة .

- هل هناك أحد قد يرغب في إيذاء والدتك ؟

- لا، هي جيدة مع الجميع والجميع يحبها. ثم توقفت لحظة لتفكر وأكملت : ربما يكون أحد المرضى. هي دكتورة نفسية وقد يكون هناك مريض لم ينجح معه العلاج وقرر فعل ذلك .

- هل اشتكت من مريض يزعجها من قبل ؟

- لا، لكنها نادراً ما تتحدث عن أمورها في العمل .

- انتهى عمر من الأسئلة ثم سأل عن أرقام وعناوين أصدقائها .

كتبت أسماء الأرقام والعناوين التي طلبها عمر، ثم شكرها وطمأنها بأنه سيفعل كل ما في وسعه للعثور على القاتل وتقديمه للعدالة .

****

بعد أن انتهى من شقة الضحية، توجَّه للقاء أصدقاء أسماء بهدف التحدث معهم وجمع المعلومات، لكنه لم يتمكن من الحصول على معلومات جديدة .

****

بعد يوم طويل مليء بالتحقيقات، قرر عمر الذهاب إلى عيادة زوجته لانتظارها حتى تنتهي من عملها. وعند وصوله إلى العيادة، وجد عفاف السكرتيرة جالسة في مكتب الاستقبال .

- عمر : مساء الخير يا عفاف، كيف حالك ؟

- عفاف : مساء الخير يا أستاذ عمر .

بدأت عفاف تتحدث وتروي قصة حياتها لعمر، الذي استمع إليها مضطرًا. تحدثت عن حياتها الشخصية وشاركت معه بعض همومها اليومية : والله يا

أستاذ عمر، الحياة صعبة والعيشة لم تعد سهلة. الأسعار ترتفع كل يوم، ومصاريف الأطفال، والراتب...

استمرت عفاف في الحديث بلا توقف، وكأنها ترغب في التعبير عن كل ما يجول في خاطرها من مشاعر وإحباطات حدثت طوال حياتها .

وفجأة رن هاتف عفاف، مما أتاح لعمر فرصة للابتعاد عن الحديث .

في قرارة نفسه، قال عمر : الحمد لله .

استغل عمر تلك اللحظة ليبتسم بارتياح وينشغل بالنظر إلى هاتفه والتفكير في تفاصيل القضية أثناء انتظار انتهاء جلستها .

بعد فترة من الانتظار، أنهت زوجته لقاءها ونادت على عمر في غرفة الانتظار. توجهت مباشرة إلى عفاف وطلبت منها إغلاق العيادة، ثم أسرعت نحو عمر قائلة : آسفة تأخرت عليك قليلاً .

- لا تقلقي .

ثم انطلقا معًا في طريقهم يتبادلان الحديث .

- قالت سارة بابتسامة : ما السبب الذي سيجبرني على استخدام وسائل المواصلات غدًا بعد أن تركت سيارتي في العمل ؟

- قضية عندي أثارت قلقى، تم قتل دكتورة نفسية ففضلت نكون مع بعض .

- بتعتقد فى قاتل متسلسل بيستهدف الدكاترة النفسيين ؟

- لا يمكننا تحديد أي شيء حتى الآن، ولكن حتى نحصل على مزيد من المعلومات حول القضية أريدك أن تكوني أكثر حذراً وأفضل ألا تقبلي أي مرضى جدد .

- بتشك إن فى مريض عنده مشكلة مع الدكاترة ؟

- التحقيقات لا تزال في مراحلها الأولى، ومع مرور الوقت سنحصل على مزيد من التفاصيل. لكن لا أستطيع تصوّر أن تكون هناك مشكلة مع دكتور قد تدفع المريض لفعل ذلك بهذه الطريقة على الأقل، لكن من الأفضل الحذر .

- وما هي هذه الطريقة بالضبط ؟

- يمكنك أن تقولي إنها تتضمن التمثيل بالجثة بعد القتل .

- هذا قد يدل على أنه يعاني من مشكلة كبيرة، لكن لا نعرف إذا كانت هذه المشكلة شخصية له مع دكتور واحد أم ستشمل جميع الأطباء .

- ولهذا يجب عليكِ أن تكوني حذرة في الفترة القادمة أو تأخذي إجازة إذا كان ذلك مناسباً .

- لا أستطيع أن أخذ إجازة وترك مرضاي. بالمناسبة، ...هل قُتلت في مكان العمل ؟

- لا، في البيت. لكن إذا كان يرغب في الحصول على معلومات فلا يوجد أفضل من العمل خصوصًا أنك دكتورة نفسية، حيث تتمحور الجلسة حول الحديث مع المرضى .

- الجلسة تتكون في الغالب من حديث المريض مع الدكتور، وليس العكس. نادرًا ما يتحدث الدكتور عن نفسه مع المريض، فلا تقلق بشأن هذا الموضوع. كما أن عفاف تكون خارج الغرفة، حتى إذا حاول أحد أن يفعل شيئًا، فهي ستكون هناك معي .

- يرد عمر بسخرية : عفاف آه، عفاف عقبال ما تقوم يكون المجرم غادر وعملنا تحقيقتنا وأعتقلناه أيضًا .

- سارة متنهدة : لا يوجد من يشتكى من عفاف غيرك. أنا أتفق معك أنها تتحدث كثيرًا، لكنها تؤدي عملها بشكل ممتاز. حتى المرضى يتحدثون معها أكثر مما يتحدثون معي .

- تقصدين بأنها هي التي تتحدث معهم، هل هناك من يستطيع أن يتكلم في وجودها ؟

- لا يهم إذا كنت تحبها، المهم أن جميع المرضى هنا يحبونها. وعلى الأقل، لقد جعلتنا نغيير حديث القضايا والجرائم أثناء ذهابنا لتناول العشاء، بالمناسبة، هذه هي المرة الأولى لي في تناول العشاء مع محافظ أو شخص من الشخصيات الرفيعة في البلد عمومًا، ولا أستطيع أن أعدك بأن العشاء سيمر بسلام .

- آآآه، يبدو أنك ستتسببين لي بمشكلة .

- لا تخف، كل ما أقوله هو أني سأتحدث معه كما أتحدث مع جميع الناس .

- ألم أقل إنك ستتسببين لي بمشكلة .

****

وصلوا إلى المطعم في الوقت المحدد، المطعم فاخرًا ولم يسبق لهما زيارته من قبل، مما أضفى طابعًا من الإثارة والترقب على الأمسية .

- قال عمر مازحًا وهو يميل تجاه سارة : الحمد لله أننا نحن المدعوين .

عندما دخلا المطعم، شاهد عمر زميله حسين وهو يشير إليهما من طاولة في إحدى زوايا المكان. فتوجها نحو الطاولة حيث كان في انتظارهما .

- بدأ حسين بتقديم الحضور : والده المحافظ ياسر الشاذلي والمقدم عمر سعد فخر الدين والدكتورة سارة أمين إلى بعض .

تبادل الجميع التحيات والمصافحات بابتسامات ودية، مما أضفى جوًا من الألفة على اللقاء. وعند استقرار الجميع في مقاعدهم، بدأ المحافظ الحوار :

- هل نبدأ بطلب العشاء ؟

- عمر : نعتذر إذا جعلنا سيادتك تنتظر، لكننا انتهينا للتو من العمل .

- لا، أنتم وصلتم في الوقت المناسب، ولكن عندما نبدأ الأكل ستفهمون .

بدأ الجميع بتصفح القائمة واختيار الأطباق التي يرغبون في تجربتها. كان المحافظ يعرف المطعم جيدًا، لذا اقترح بعض الأطباق التي اعتاد تناولها. وصل الجرسون إلى الطاولة لأخذ طلبات العشاء، ثم بدأ الحديث .

- حسين دائمًا يقول إنه محظوظ بالعمل معك .

- متشكر، يا فندم .

- هذه ليست مجاملة. أول ما بدأ حسين العمل معك، سألت عنك والجميع تحدث بإيجابية، كما علمت عن سجلك المشرف فى القضايا وعن عودتك بعد أصابة لا يستطيع الكثير العودة منها .

- الفضل فى بقائى كضابط بعد اصابتى يعود إلى ابى أكثر منى .

- الوالد لم يكن بالشخص القليل وأنا متاكد من مساعدته لك لكن ما زال هذا لا يمحى مجهوداتك للعودة .

- حضرتك تعرف والدى ؟

- ومن لا يعرف اللواء سعد فخر الدين؟ لكنه بعيد منذ فترة. ماذا يفعل الآن ؟

- منذ السنة الماضية، أخذ وقتًا لنفسه ويعمل على كتابة رواية بوليسية مستفيدًا من خبراته. وفضل الابتعاد عن كل شئ، حتى مزرعتنا التي كان يعنى بها بإهتمام بالغ، قرر أن يسلم إدارتها هى الآخرة .

- خطوة جيدة. الكتابة ليست سهلة، لكن من يمتلك خبرة مثل تلك بالتأكيد لديه قصص مثيرة ليخبرنا بها. فكرت أنا أيضًا في القيام بذلك من قبل، لكن الأمر أصعب مما توقعت ويحتاج الكثير من الوقت وراحة البال. أتمنى له التوفيق .

لاحظ عمر فتاتين تقترب منهما، وكانتا في أوائل العشرينيات. ألقت الشابتان التحية على الجميع وقام المحافظ بتقديمهما للحضور هذه مريم ابنتي وهاجر صديقتها. ثم قدم عمر وسارة وتبادل الجميع التحية والمصافحة .

- مريم : كنت أتصل بك ولم ترد، فقررت أن أتي إليك هنا .

- تفاجأ المحافظ عند سماع ذلك وسحب هاتفه ليتحقق فوجد أن البطارية فارغة، وبدهشة : غريب، لقد شحنته اليوم ولم أستخدمه. لا أفهم مطلقًا كيف تعمل هذة الأشياء. المهم، هل أنتِ بحاجة إلى شئ ما ؟

- أريد الذهاب للمذاكرة مع هاجر وقد أبيت عندها، وتوجهت إلى هنا أولاً لأخبرك .

- لمَ لا يأتى حسين ليأخذك إذا تأخرتِ ؟

- لا، لقد نمت في الصباح لكي أتمكن من المذاكرة في الليل. إذا جلست ساهرة حتى الصباح سأعود بمفردي، لكن إذا شعرت بالنوم عند الفجر فسأبقى عندها .

- أذن يفضل أن تتناولا العشاء معنا قبل أن تذهبا أذا كنتم ستسهران؟

ثم يأمر بجلب كرسيان لهم .

- هاجر : آسفة، لكننا على عجلة .

- يرفض المحافظ أى اعذار : إذا كنتما ستسهران، فمن الأفضل أن تأكلا معنا الآن، فربع ساعة تناول الطعام لن تضيع مستقبلكم .

وافقت كل من مريم وهاجر على الجلوس وتناول العشاء معهما، وطلبتا الطعام. أثناء انتظار الطعام سأل عمر عن دراستهم. لتجيبه مريم بأنهم فى هندسة ميكانيكة .

اكتفى عمر بتشجيعهم لأنه لم يكن لديه معرفة كافية بتفاصيل الهندسة وتمنى لهم النجاح. وصل الجرسون إلى الطاولة وقدّم الطعام للحضور متمنياً لهم وجبة هنية .

- المحافظ : هذه اللحظة ستكون بداية تكرار زيارتكم هنا كلما أردتم تناول العشاء خارجاً .

- عمر : يدوم يا فندم .

مع بداية الأكل، أعربت سارة عن أعجابها بالطعام .

- قلت لكم ؛ يقول المحافظ ثم ألتفت لعمر : وما رأي حضرة الضابط ؟

- بابتسامة اتجاة سارة : الأكل لذيذ، لكنه لا يعادل طهي زوجتي .

- سارة : أفضل شئ قولته طوال اليوم .

- المحافظ : إذن يجب عليكم دعوتي في يوم ما .

- سارة : ستُشرفنا بالفعل .

- المحافظ : لكن برافو عليكِ، رغم انشغالكِ تمكنتِ من إيجاد الوقت لتعلم الطبخ .

- كانت والدتي في الأصل طاهية، وكنت دائمًا أحب التعلم منها سواء في المنزل أو عندما أرافقها إلى مكان عملها .

- أذا كان هذا شغفكِ فكيف بدأت رحلتك في دراسة الطب النفسي بدل من التركيز على أن تصبحى شيف ؟

- منذ صغري، كنت ألاحظ أن الناس لا تعتبر المرض النفسي أمرًا هامًا، لذا أردت أن أغير هذه الفكرة. وتعريفهم إن أهمية مناقشة المرض النفسي ومعالجته تُعتبر على نفس مستوى أهمية الألم الجسدي. فهذه مشكلة كبيرة في

مجتمعنا ؛ حيث يبدو أن غياب الألم الجسدي يعني أنك بخير، رغم أن الوضع النفسي صعب في البلاد نتيجة للتربية التقليدية والعادات التي يرفض الناس التفكير في إمكانية خطأها أو تغييرها .

بينما كانت سارة تتحدث، استمر عمر في الاستماع بصمت وتناول طعامه. كان يشعر ببعض القلق من أن تؤدي آرائها إلى وضعه في موقف حرج، خصوصًا أمام المحافظ .

- المحافظ : لكن هذه التربية التي تعتقدين أنها تقليدية ورجعية هي نفسها التي جعلتنا رجالاً قادرين على مواجهة كل التحديات التي نواجهها .

- ومن قال إن التعبير عن المشاعر ومعالجة المشاعر السلبية ينقصان من الرجولة؟ عبارات بسيطة مثل "أنت رجل ، لا يجوز أن تبكي أو تشتك مثل الفتيات، ويجب أن تتحمل مهما كان" هذة ليست علامات رجولة. بل إن هذه الأمور تجعل الشخص يفتقر إلى المشاعر ولا يستطيع التعبير عن ما بداخله، لأن ذلك سيُعتبر دليلاً على ضعفه. على سبيل المثال، إذا كان لديك شعور بالحزن وقررت أن تتحدث مع شخص مقرب لك ليخفف عنك ويطمئنك بدلاً من أن تعيش بمفردك، أليس ذلك أفضل؟ هل ترك الأمر ينهكك هو الحل؟ والأمر ليس مقتصرًا على الحزن فقط. قد تجد نفسك أيضًا غير قادر على مشاركة فرحك، لأن مشاركة المشاعر تصبح مع مرور الوقت شئ لا أهمية له، والاحتفاظ بها لنفسك يصبح الحل الأفضل حتى وإن كان مضراً لك، ومع الوقت تتطور هذه الحالة إلى قلة ثقة في من حولك وتصبح خائفًا من مشاركة أسرارك مع المقربين لك، لأنك غير واثق من نظرتهم لك إذا شعروا بضعفك. لذا أن تكون قاسيًا ولا تشعر، فهذا ليس دليلاً على الرجولة أو القوة، بل على العكس من ذلك ؛ أنه دليل على الضعف .

عمر يستمع للحديث بينما يواصل تناول طعامه بهدوء وقلق. بينما مريم كانت تستمتع برؤية شجاعة سارة في تناول قضايا تتعارض مع رأي والدها. في حين أن هاجر وحسين فضلا الاحتفاظ بمشاعرهما وآرائهما لأنفسهما، متابعين النقاش من دون تدخل .

- تابعت سارة : الأمر لا يقتصر فقط على الرجال. كذلك البنات تواجه العديد من المشكلات النفسية الناتجة عن القيود المفروضة عليهم منذ ولادتهم، بدأ من عيلتها وإن حد لازم يبقى مراقبها سواء أخوها أو أبوها أو أي فرد آخر من العائلة ويأخذ لها قرارات حياتها، أكنها كائن أقل شأنً من الرجل وتحتاج شخص يُسير لها حياتها طوال الوقت. هذه التقاليد تولد أجيالاً من بنات ضعيفات الشخصية، غير قادرات على اتخاذ أى قرار مهم فى حياتهم. وبيبقى قدامهم طريقين : إما يكملوا مُسيرين من عيلتهم لحد ما يتجوزوا ثم يبقوا مُسيرين من اجوازهم وتبقى حياتهم عبارة عن نعم وحاضر بدون اى تفكير او يتمردوا على اهلهم والحياة التي نشأن فيها طوال حياتهم ويسعين للحصول على أى نوع من الحرية التي فقدنها فى حياتهم ولكن نظرًا لعدم خبرتهم، قد تتحول محاولاتهم لتحقيق الحرية إلى استغلال من قبل آخرين. وهنا يأتي جزء من دور الطبيب النفسي، بمساعدة الأفراد على مواجهة هذه التحديات والتغلب على مشكلاتهم النفسية والتعافى منها سواء ومحاوله نشر الوعى للحد من العادات الخاطئة التى تؤدى إلى هذة المشاكل .

- المحافظ بسخرية : يبدو من كلامك أن معظم المشاكل التي نواجهها تأتي من الوالدين .

- تتجاهل سارة السخرية وتكمل بكل جدية : بالفعل عادةً ما تكون المشاكل ناتجة في المقام الأول عن الوالدين، وهذا يعود إلى نوع من الأنانية التي يعاني منها معظم الناس، فتجد الأنجاب عبارة عن أن الوالدين كان لديهم حلم يرغبوا بتحقيقه ولم يستطيعوا فيحاولوا بكل الطرق يضغطوا على أولادهم ويرسموا لهم طريق مخصوص لا يمكن أن يحيدوا عنه فى سبيل تحقيق هذا الحلم حتى لو كان مختلف عن حلم اولادهم ويقنعوا أنفسهم بأن هذا هو الأختيار الصحيح وأنهم ذو خبرة كبيرة عن أولادهم ويعرفوا الأفضل لهم ، لكن في الواقع، الأمر يتعلق أكثر بالفخر بأنفسهم وبقدرتهم على مساعدة أولادهم لتحقيق هذا الحلم الصعب الذي لم يتمكنوا هم من تحقيقه، او لمجرد نظرة الناس لهم عندما يحصل اولادهم على شهادة جامعية مرموقة او وظيفة يحلم بها معظم الأشخاص الأخرون بدون وضع فى الاعتبار ماذا يريد

المعنيين بالوضع وهل هم سعداء؟ او يحملوا اسمهم من بعدهم كنوع من انواع الفخر او إذا لم ننجب طفل فذلك معناه أن لدينا مشكلة، او لمجرد ان دى سنة الحياة الناس بتنجب أولاد فلما لا نفعل مثلهم نحن لسنا أقل شأن، او او....، نادرًا ما يفكر أحد فى مستقبل الطفل وهل هو حاطط فى اعتباره امكانياتة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وإذا كان قادرً على توفير حياة هنية لطفله واذا كان شريك حياته مهيئ هو الاخر لمسئولية تربية طفل ومساعدة اولادهم فى تحقيق اهدافهم وجعلهم سعداء. مقدار التفكير الذي يُخصص لهذا القرار يكون ضئيلاً جداً مقارنةً بأهميته، ونحتاج إلى زيادة الوعي حول أهمية هذا القرار، لكي يدرك الناس ضرورة تحسين أنفسهم إذا قرروا إنجاب طفل. ويفهموا أن الطفل ليس ملكية خاصة لهم، بل هم مجرد حلقة وصل بين الله ووجوده في الحياة وأن عليهم فقط المساعدة ليعيش أفضل حياة ممكنة .

- المحافظ : أهذا هو السبب الذي جعلكم لم تنجبوا حتى الآن ؟

- اشتد النقاش، فتدخلت مريم لتقول ضاحكة وهي تنظر إليه : إذا كان هناك ما يمكن أن يهدئ هذا النقاش، فأنت في الحقيقة أب جيد.

- رد المحافظ بفخر : أعرف، نحن نتحدث بشكل عام فقط .

وضع عمر يده على سارة ليهديها رغم شعوره بالغضب هو الأخر مُظهرًا دعمه لها. قررت مريم وصديقتها العودة إلى المنزل للاستعداد للامتحانات .

- مع السلامة، قال المحافظ ثم نظر إلى سارة وأكمل حديثه : ولكن حتى تنشرى هذا الكلام، فإن الحالات القليلة التي تتلقينها لن تكفي لفعل شئ .

- حتى لو كان لدي تأثير إيجابي على شخص واحد فقط، فإن ذلك يعد إنجازًا كبيرًا بالنسبة لي. لكن نحن نسعى أيضًا للتعاون مع الدولة لنشر الوعي بالمرض النفسى، سواء عبر التلفزيون أو الإنترنت وقد تحسن الوعي بالفعل في السنوات الأخيرة على الرغم من أنه لا يزال ليس بالمستوى المطلوب.

لكن في الماضي كان يُنظر إلى المريض النفسي على أنه مجنون، حتى أن الأطباء النفسيين كانوا يوصفون بذلك في بعض الأحيان. الآن تغيرت الصورة كثيرًا، وفهم العديد من الناس أهمية الطب النفسي وأنا أؤمن بأن أي تغيير، مهما كان بطيئًا، هو أفضل من ترك الأمور كما هي دون محاولة. تغيير واحد بالمئة أفضل من صفر بالمئة ؛ لذا حتى وإن كان التغيير ضئيلاً، فهو أفضل من عدم وجود تغيير على الإطلاق .

هز المحافظ رأسه بالموافقة، لكنه رغب في إنهاء الحديث حول هذا الموضوع فقط. لاحظت سارة انزعاجه، فقررت تغيير الحديث وسألت حسين عن اختياره لمهنته وأسباب التحاقه بكلية الشرطة .

- حسين بهدوء كأنه لم يحضر كل المشاحنات السابقة : شعرت أن هذا المجال هو الذي يمكنني من إحداث فرق والمساهمة في تحقيق الأمن والاستقرار ومساعدة الناس. كما أن لعائلتي ووالدي تأثير كبير عليّ، فعندما تكبر وتلاحظ أن الأشخاص الذين تعتبرهم قدوة يقومون بعمل معين يحظى بتقدير واحترام من حولهم، يصبح لديك الدافع لتكون مثلهم .

- سارة مبتسمة : أعتقد أنه بعد العمل مع عمر يوميًا، تتمني لو كنت قد فكرت في مجال آخر للعمل فيه .

- بالعكس، هذه أفضل تجربة مررت بها. تعلمت في العمل أكثر مما تعلمته في الأكاديمية، وعمر لعب دورًا كبيرًا في ذلك .

- عمر مبتسمًا وهو ينظر لسارة : لكي تدركي قيمة زوجك .

- آه، لن ننتهي من الحديث الآن .

بعد الانتهاء من العشاء، دفع المحافظ ياسر الفاتورة وعبر عمر وسارة عن شكرهما وامتنانهما للواء ياسر وحسين على الدعوة. تمنى الجميع لبعضهم يومًا سعيدًا، وانطلق كل منهم في طريقه .

****

بينما كان عمر وسارة في طريقهما إلى المنزل بالسيارة، قرر عمر أن يتحدث مع سارة عن النقاش الذي دار في المطعم .

- سارة : أعلم أن الحوار كان جادًا بعض الشيء بالنسبة لسهرة عشاء، لكن هذه المواضيع مهمة. إذا كنا سنمتنع عن مناقشة أمور معينة حتى لا نزعج الآخرين، فلن نتمكن من تغيير أي شيء في حياتنا .

- يمكننا مناقشتها، ولكن بشكل أفضل .

- لا أرى شيئًا خاطئًا في طريقتي، بالعكس طريقته هو الخاطئة فقط لأنه محافظ فهذا لا يعني أنه من الخطأ معارضته وأنه لا يخطأ .

- ابتسم عمر وهو ينظر إليها عبر مرآة السيارة : محافظ أو غير لا أحد يستطيع الفوز في نقاش معك .

- لأنني على حق .

ابتسم عمر مرة أخرى، ثم قرر مواصلة الطريق إلى المنزل في هدوء. وصلوا إلى المنزل في الساعة العاشرة والنصف مساءً. كان منزلهما في الطابق الأرضي، ويقع أمامه مجموعة من الأشجار التي تضفي شعورًا بالسكينة والراحة بمجرد النظر إليها.

عند دخول المنزل، اتجه عمر مباشرة إلى الحمام. في نفس الوقت قامت سارة بتبديل ملابسها إلى ملابس مريحة واستَلَقَت على السرير لتقرأ كتابًا كان في انتظارها. بعد أن انتهى عمر من الاستحمام، خرج من الحمام ليجد سارة غارقة في القراءة. بحركة مفاجئة سحب الكتاب من يدها وهو يقول : هناك شئ مهم يجب الحديث عنه وأنتِ تقرأين .

- نظرت سارة إليه باستغراب : عن ماذا تتحدث ؟

- ما المقصود بعن ماذا أتحدث؟ بعد كل أنواع السمك التي تناولناها، تسألين عن ماذا أتحدث؟ اقترب عمر منها ليقبلها، لكن سارة قاطعته : أطفئ الأنوار أولاً .

- ابتسم عمر وهو يقبلها : أعرف أنك قد لا ترغبين في رؤية هذا الوجه، لكن بالنسبة لي، أمامي وجه مستحيل أن أطفئ الأنوار من أجله .

حلم

رأى عمر نفسه في صغره واقفًا في مكان مظلم وفارغ. كان الظلام يحيط به من كل الاتجاهات مما جعله يشعر بالقلق والضياع. بينما كان يحاول التكيف مع هذا الظلام، لمحت عيناه شعاعًا من النور يتسلل من خلفه. بدأ النور يزداد ببطء مضيئًا المساحة المحيطة به، وعندما اقترب الشعاع اكتشف عمر أن والديه يقفان خلفه مبتسمين له بلطف ويمدّان أيديهما نحوه. فور أن أمسك بيديهما شعر بالأمان والطمأنينة. مع تزايد الضوء بدأت ملامح المكان تتضح واستطاع رؤية وجه والديه بجلاء. بمساعدتهما سار مبتعدًا عن الظلام متجهًا نحو فضاء مليء بالنور والدفء .

تكرار

٢٠٢٥/١/٢

بعد استيقاظه من حلمه كعادته، قام عمر بتدوين تفاصيل الحلم في مذكرة بجانب سريره. أصبحت هذه العادة جزءًا من حياته منذ أن فقد ذاكرته قبل أربعة عشر عامًا، إذ يعتقد أن أحلامه تحتوي على بعض من ذكرياته المفقودة مهما كانت غرابتها، وتُعتبر هذه الممارسة وسيلة له للتواصل مع الجزء الغامض من حياته .

بعد ذلك تناول الإفطار مع سارة، وتحدثا عن يومهما وما قد يحمله من أحداث. عقب الإفطار توجه إلى قسم الشرطة لبدء يومه المهني. بمجرد وصوله، صادف حسين الذى كان يبدو في عجلة من أمره .

- حسين وهو يخرج من المكتب : وقعت جريمة قتل ثانية .

- ردّ عمر : صباح الخير أول .

- صباح النور. الضحية هذه المرة هو الدكتور سمير المهدي .

- فى معلومات أخرى ؟

- لا .

صعد عمر وحسين إلى السيارة متوجهين إلى مسرح الجريمة، واستمرّا في الحديث عن الجريمة السابقة، محاولين الربط بين الأحداث والبحث عن أي دليل يمكن أن يقودهم إلى القاتل .

- عمر : اكتشفت أي شيء تم سرقته من شقة الضحية فى القضية السابقة ؟

- حسين : لأ، لا أعتقد أن يكون هناك شخص يقوم بالسرقة ثم يتصرف بهذه الطريقة .

- أحيانًا، يرتكب المجرمون جريمتين ليخدعوا الشرطة بخصوص شئ معين، لكن يكون لديهم هدف آخر. ربما ليست سرقة أموال، بل قد تكون مستندات أو أبحاث ذات قيمة عالية أو حتى قتل الدكتور لأنه يعرف معلومات حساسة .

- لكن قتل ثم إخراج قلب الضحية وكتابة رسالة بالدم على الجدار لا أعتقد أنها سرقة على الإطلاق، بل يبدو كأنه فعل انتقامى مع رسالة موجهة لشخص آخر .

- ربما تكون محقًا، لكن لا ينبغي علينا استبعاد أي شئ .

- الشئ المؤكد أنه مع تكرار الجريمة، يمكن أن نفترض أننا أمام قاتل متسلسل. المشكلة هي كم سيكون عدد الضحايا؟ لأنه إذا استمر في القتل يوميًا حتى نقبض عليه، سيكون العدد كبير، خاصةً أنه يبدو شخصًا ذكي .

- دعنا نرى القضية أولاً ثم نحدد ما يجب علينا فعله .

ظلوا صامتين بقية الطريق وهم غارقون في التفكير والتخطيط للخطوات التالية حتى وصلوا إلى مسرح الجريمة .

****

عند وصولهم إلى مسرح الجريمة، وجدوا حشدًا من الناس متجمع أمام المبنى، مما زاد من تعقيد الوضع وألقى على عاتقهم مسؤولية السيطرة على الأجواء. بدأ حسين في إبعاد الحشود عن مدخل المبنى، ساعيًا لتنظيم الأمور وضمان الحفاظ على سلامة مسرح الجريمة. في الوقت نفسه دخل عمر الشقة ليكتشف جريمة قتل أخرى بنفس درجة عنف الجريمة السابقة .

الجثة جالسة على الأرض، وتم نحر عنقها. الدماء تُغطى جسم الضحية بالكامل، مما يصعب رؤية أي تفاصيل على الجثة. الدماغ مهشم، وبعض أجزاء منه موجودة في يد الضحية اليسرى، بينما اليد اليمنى فارغة. العينان

تنظرا إلى حائط كُتب عليه بالدم: " عندما يكون المخ وسيلة لفعل الشر فالأفضل إخراج الشر من داخلنا ".

عندما وصل فريق الطب الشرعي لبدء فحص الجثة وجمع الأدلة، تركهم عمر ليقوموا بعملهم، وتوجه للتحقيق مع الشهود الموجودين في موقع الحادث. وجد عمر الدكتور حسان حسن، زميل الضحية، يقف بالقرب من موقع الجريمة، وقد بدا عليه التأثر .

- عمر : دكتور حسان آسف لما حدث لزميلك. نحتاج إلى توجيه بعض الأسئلة حول الدكتور سمير المهدى .

هز الدكتور رأسه بدون أن ينطق بكلمة. ثم بدأ عمر الأسئلة .

- هل كان هناك أي خلافات بين الدكتور وبين أى أحد في العمل أو خارجه؟

- الدكتور حسان : لا. كان الدكتور سمير محبوبًا بين زملائه، ربما كان هناك لحظات غضب نتيجة الضغط في العمل أحيانًا لكن ليس أكثر من ذلك .

- لاحظت عليه أي تصرفات غريبة في الأيام الأخيرة؟ كان متوتر أو قال شيء غير معتاد ؟

- لا، كان مثل كل يوم .

- فى أى شخص تردد عليه في الفترة الأخيرة ؟

- بحسب معرفتى. لا .

- ممكن تخبرنا بتفاصيل اكتشافك للجثة ؟

- تعطلت سيارة الدكتور سمير أمس وأخذها للصيانة، وأخبرني أن أذهب إليه في المنزل لأوصله إلى العمل. اتصلت به قبل ذهابى إليه لكنه لم يرد، فتوجهت إلى منزله واتصلت مرة أخرى من السيارة ثم صعدت لأقرع

الجرس عندما لم يرد. لاحظت بقعة دم على الباب. ظللت أقرع وأتصل بدون جدوى، حتى خرج الجيران وقررنا كسر الباب، ثم وجدنا جثته بهذا الشكل .

- هل تعلم إذا كان هناك أي علاقة بينه وبين دكتورة سعاد سعيد ؟

- فكر الدكتور حسان لبرهة : لا .

- ومنذ متى وأنتم زملاء ؟

- حوالي ١٢ أو ١٣ سنة .

- ومتى غادر الدكتور أمس ؟

- غادر المستشفى حوالي الرابعة عصراً، وليس لدي علم بوجهته بعد ذلك .

بعد انتهاء استجواب الدكتور حسان، شكره عمر على تعاونه ومساعدته، وواصل بحثه عن معلومات إضافية حول الضحية. استفسر عن عائلة الدكتور سمير المهدى واكتشف أن لديه ابن وحيد يدرس في جامعة بعيدة وهو مغترب، مما يعني أنه سيحتاج لبعض الوقت للوصول. أخبرهم عمر أن يجعلوه يتوجه إلى القسم فور وصوله .

توجه عمر بعد ذلك إلى حسين ليكلفه بمهمة جمع المزيد من المعلومات من الجيران والمارة. بعد أن قدم له التعليمات المناسبة، خرج ليدخن سيجارة ويتأمل المنزل من الخارج، محاولًا تحليل الجريمة والتفكير في الخطوات المقبلة. عاد عمر إلى مسرح الجريمة للحديث مع الطبيب الشرعي وسؤاله عن الصفات المشتركة بين هذه القضية وقضية الأمس ؟

- الضحيتان تعرضتا لضربتين على الجهة اليمنى من جبهتيهما عند فتح الباب. وقد تم انتزاع أعضائهم بشكل غير مهني، حيث توجد بقايا منهما في الجثتين. يبدو أن القاتل أعسر وأطول من الضحيتين، حيث جاءت الضربتان من الأعلى .

- هل هناك أي أثر للحمض النووي، بصمات، شعر، أو أي دليل آخر ؟

- للأسف، لا شيء .

- كيف ذلك! أيمكننا أن نفترض أن القاتل أصلع على الأقل ؟

- ليس بالضرورة ؛ فقد يكون غطي شعره .

- عمر وعلامات التوتر ابتدت بالظهور عليه : كيف يفعل كل هذا بدون ارتكاب خطأ واحد التوتر الناتج عن القيام بشئ كهذا يجب أن يجعله يخطأ، خصوصًا إذا كانت هذه هي أولى ضحاياه .

- لكننا غير متأكدين مما إذا كانوا فعلاً أول ضحاياه أم لا .

- لا أعتقد أن هناك أي قضية مرّت علينا بهذا الشكل من قبل .

- احيانًا أساليب القتل بتتغير، وقد يكونوا بالفعل أول ضحيتين له، لكن يحركه دافع يجعله يتصرف بهذه الطريقة دون أخطاء. دون أن ننسى أنه شخص شديد الذكاء .

- عمر بغضب : يا دكتور، إذا كان هناك شخص قد قتل بالطريقة نفسها بالأمس ثم كرر الأمر بهذه السرعة، فهذا يدل على أنه لديه خطة مسبقة وأنه ذو ذكاء وقد يستمر في القتل يومياً حتى يقرر متى سيتوقف. أنا اعلم كل هذا، أريد معرفة شئ جديد .

- الدكتور بهدوء العادة : احنا قمنا بعملنا في مسرح الجريمة ولم نجد شيئاً، يمكنك إجراء تحرياتك وربط المعلومات بين الضحيتين .

- عمر بسخرية وغضب : شكرًا يا دكتور، لم أكن لأعرف ما سأفعله بدون نصائحك.

بعد أن شعر بالإحباط من الحديث مع الطبيب الشرعي، قرر التوجه إلى حسين .

- حسين، أريدك أن تحصل على تسجيلات كاميرات المراقبة من أي مكان يمكن أن يكون القاتل قد استخدمه لمتابعة الضحيتين خلال الأسبوعين الماضيين، وركز على أي شخص ظهر في المكانين. يجب أن نتحرك بسرعة قبل أن يضرب القاتل مرة أخرى .

- لكن هذا الأمر سوف يستغرق وقتاً، والقاتل قد يقتل مرة أخرى غداً قبل أن نجد شيئاً .

- هذا هو الحل الوحيد المتاح أمامنا. اجعل الفريق يحصل على التسجيلات، واترك كل شيء في يديك وراجع السجلات حتى تجد شيئاً. هذه وظيفتك الوحيدة الآن .

على الرغم من أن حسين لم يكن مقتنعًا تمامًا بأن هذه هي الطريقة الأسرع لحل المشكلة، إلا أنه قبل المهمة لعدم وجود خيار آخر متاح. بدأ حسين بالتنسيق مع فريقه لجمع لقطات كاميرات المراقبة من المواقع التي كان الضحايا يترددون عليها، أو التي يُحتمل أن القاتل قد استخدامها لمراقبة أهدافه .

****

بعد مغادرته مسرح الجريمة وتكليف حسين بمهمة مراجعة لقطات الكاميرات، قرر عمر أن يستعرض جميع جرائم القتل التي وقعت خلال السنوات العشر الماضية في محاولة للكشف عن أي نمط أو معلومات قد تربط بين هذه الجرائم. بدأ بتفحص سجلات الجرائم السابقة، باحثاً عن أدله تشير إلى جرائم لها أنماط مشابهة لتلك الحالية .

ركز عمر على عدة نقاط أثناء مراجعة السجلات :

الأسلوب : هل كانت هناك جرائم سابقة تضمنت انتزاع الأعضاء أو ترك رسائل دموية ؟

الأهداف : هل تم استهداف أي أطباء أو أشخاص في مجالات مشابهة في جرائم سابقة ؟

الأماكن : هل وقعت جرائم مشابهة في نفس المناطق أو الأحياء ؟

الزمن : هل يوجد نمط زمني معين في حدوث جرائم القتل ؟

بينما كان عمر غارقًا في مراجعة السجلات في مكتبه، طرق الأمين الباب ليعلن عن وصول علاء، ابن الدكتور سمير المهدى الذي جاء لتقديم شهادته. دخل علاء إلى المكتب، حيث كان عمر في انتظاره ليحييه ويعزيه ويقدم له الدعم. ثم طلب من الأمين إحضار الشاي لهما. دعا عمر علاء للجلوس وأكد له التزامه التام بالعثور على القاتل، مشيرًا إلى أنهم يبذلون كل جهد ممكن لتحقيق العدالة، ولكنهم بحاجة إلى طرح بعض الأسئلة التي قد تساعدهم. هز علاء رأسه بالموافقة في صمت فقد كان يبدو عليه أنه لم يتخطى صدمة وقع الجريمة بعد ويحاول أن يبقى هادئًا على قدر المستطاع .

- عمر : بتعتقد أن هناك من قد يفكر في إيذاء والدك ؟

- علاء : أنا مغترب منذ سنتين في الكلية، لذا لست متأكدًا، لكنه لم يذكر أي شيء في حديثنا .

- صحيح أنت وصلت بسرعة، كم يستغرق الطريق فى العادة ؟

- علاء : حوالي ساعة ونصف .

- لماذا تغترب لمجرد ساعة ونصف في المواصلات !

- إذا كنت سأقضي ساعة ونصف في الذهاب وساعة ونصف في العودة كل يوم، فلن يكن لدى وقت للمذاكرة .

- وما تخصصك ؟

- هندسة معمارية .

- أتمنى لك التوفيق. هل شعرت بأي قلق من حديثك مع والدك يدل على وجود مخاوف معينة ؟

- لا، كل شيء كان جيدًا .

- هل تعرف دكتورة سعاد سعيد ؟

- هز رأسه بالنفي .

- وماذا عن أسماء مجدي ؟

- لا، من هؤلاء ؟

- ضحية توفيت بالأمس بالطريقة نفسها، وأسماء هي ابنتها ونريد أن نعرف إذا كان هناك معرفة سابقة بينهما .

- هذه أول مرة أسمع عنهما، لكن ربما يكون أبي قد أخبر أحد أصدقائه .

- سألنا ولم نجد أي شيء، على أي حال هذه هي كل الأسئلة، أشكرك على قدومك في هذه الظروف .

وقف عمر ليصافح علاء ووعده مرة أخرى بأنهم سيبذلون كل جهدهم للقبض على القاتل .

- علاء : ولكنهم منعوني من رؤية أبي، متى يمكنني رؤيته ؟

- قضايا القتل تستغرق وقتًا، خصوصًا في مثل هذه الحالة، لكن خلال يومين أو ثلاثة قد يتصل بك أحدهم وستتمكن من رؤيته .

- شكرًا لك .

غادر علاء المكتب، بينما استمر عمر في مراجعة السجلات والقضايا، ساعيًا لإيجاد أي خيوط أو نماذج قد تفيد في التحقيق، حتى تلقي اتصالاً من سارة .

- نعم يا سارة .

- الساعة ١٢، إنت هتتأخر في الشغل ؟

- آه، لدى شغل كثير اليوم، نامي إنتِ يا حبيبتي .

- سارة بنبرة عتاب : للمرة المليون، إذا كنت ستتأخر، أتصل وأخبرني .

- آسف، أنا كنت مشغول طوال اليوم ولم ألاحظ الوقت .

اتفقا على التواصل في الصباح، وتبادلا عبارات الود قبل إنهاء المكالمة .

اتصال

٢٠٢٥/١/٣

بعد انتهاء المكالمة مع سارة، شعر عمر بالحاجة إلى الاطمئنان على تقدم التحقيقات، فذهب إلى حسين للاستفسار عن أي جديد يتعلق بتحليل لقطات الكاميرات. عند وصوله إلى حسين، وجده نائمًا أمام الشاشة. طرق عمر الباب بصوت مرتفع ليوقظه .

- استفاق حسين مفزوعًا، محاولًا أن يبدو يقظًا أمام عمر : أنا صاحٍ، غفوت دقيقتين فقط وهكمل الان .

- لا، قم اغسل وجهك أولًا. سأعد كوبين من القهوة وسأنتظرك لنشربهم خارجًا .

- خرج حسين للانضمام إلى عمر على الرغم من الطقس البارد حولهما : ألا يمكننا شرب القهوة داخلاً بدلاً من هذا الجو ؟

- عمر وهو يقدم له القهوة : الأفضل تُغيير الجو حتى لا تنام مرة أخرى .

- عندما تظل لمدة سبع ساعات تراقب شاشة، من الطبيعي أن تغفو في أى لحظة .

- المهم وجدت أى شئ ؟

- ليس بعد، لكني راجعت ثلاثة أيام فقط، ومع مرور الوقت يمكن أن نكتشف شيئًا .

- المشكلة أن الوقت رفاهية ليست لدينا .

- معظم المحلات لا تملك كاميرات، فلدينا فقط كاميرتين نبحث بهما في قضية الدكتورة سعاد، وواحدة في قضية الدكتور محمود، لذا العمل سيكون سريعًا .

- استمر حتى تجد جديد .

- ماذا عن القضايا القديمة؟ هل وجدت فيها شيئًا ؟

- لا، ومن المحتمل ألا أجد، لكنني مستمر في البحث .

بعد الانتهاء من شرب القهوة، عاد كلاهما إلى عمله .

حلم

حلم عمر بيوم تخرجه من كلية الشرطة. كان يقف في قاعة الاحتفال، مرتديًا الزي الرسمي الخاص بالتخرج، محاطًا بزملائه الخريجين. كانت الأجواء مليئة بالفرحة والاحتفالات، حيث كانت الأسر تلتقط الصور وتستمتع بلحظات السعادة مع أبنائهم. احتضنه والداه بحب وفخر، معبرين عن اعتزازهم بما أنجزه. وقد ألتقى مع بعض الأصدقاء الذين لا يتذكرهم جيدًا، لكنهم كانوا يهنئونه ويشاركونه فرحته .

استفاق عمر على صوت رنين هاتفه، ليجد نفسه نائمًا فوق الملفات التي كان يطلع عليها. نظر إلى شاشة هاتفه ليكتشف أن سارة تتصل به. رفع الهاتف وأجاب على اتصالها، حيث اطمئنا على بعضهما واستعلمت عنه قبل أن تخبره بأنها ستذهب إلى العمل مبكرًا اليوم بسبب مواعيدها في العيادة .

بعد انتهاء المكالمة، توجه عمر إلى الحمام ليغتسل واستعادة تركيزه قبل أن يعود إلى مكتبه لمتابعة عمله .

عندما عاد إلى مكتبه، رن الهاتف مجددًا. اعتقادًا منه بأنها سارة رفع الهاتف وأجاب دون أن ينظر إلى الرقم المتصل .

- نعم يا سارة .

- جاءه صوت هادئ : لأ، أنا مش سارة. أنا شخص أكثر أهمية. قلُ لى يا حضرة الضابط تأثير آخر جثتين عليك ؟

- حاول عمر أن يحافظ على هدوئه، بينما يحاول تحديد هوية المتصل ودوافعه : من معى ؟

- إذن لا زال لا يوجد تأثير. لكن لا تقلق هناك جثث أخرى قادمة، آمل أن يكون لها تأثير مع مرور الوقت .

- ولماذا مع الوقت؟ إذا كان لديك رسالة تود إيصالها، قم بإيصالها الآن واشرح لي لماذا تقتل، وأخبرني بتأثير ذلك علي بدون أي خدع .

- لا يوجد خدع، لكن يجب أن تعرف بنفسك .

- عمر بتحدي : لا، ليس من الضروري أن أعرف بنفسي. عندما أقبض عليك سأعرف منك .

- بطريقة هادئة ومستفزة : لا، لن تقبض عليّ .

ثم أغلق المكالمة. حاول عمر الاتصال بالرقم مرة أخرى، لكن دون جدوى، فذهب إلى حسين ليخبره بما حدث ويستفسر عن التقدم في التحقيقات .

- وصلت لحاجة ؟

- راجعت خمس أيام بدون جديد .

- القاتل كلمّني على التليفون .

- حسين باندهاش : إيه !

- سألني عن تأثير الجثث عليّا .

- هو يعرفك ؟

- لا أعتقد أنني سمعت صوته من قبل .

- حسنًا، لنقم بإجراء أبحاثنا حول الرقم الذي اتصل بك، ربما يقودنا ذلك إلى شيء مفيد .

- لن يتصل إذا كان لديه شك بأننا قد نتمكن من الوصول إليه، وسنتعب أنفسنا دون جدوى .

- أحيانًا يرتكب المجرمون أخطاء عندما يشعرون بأنهم أذكياء وهذه الأخطاء هي التي تقودهم إلى الوقوع أليس ذلك كلامك ؟

على الرغم من عدم اقتناع عمر الكامل بفكرة البحث عن الرقم، إلا أنه وافق على اقتراح حسين كخطوة إضافية في التحقيق. ثم عاد إلى مكتبه، حيث تم أبلاغه قبل دخوله بأنه تم اكتشاف جريمة قتل جديدة، والضحية هي مديرة مدرسة تم قطع لسانها .

شعر عمر بالإحباط بسبب استمرار الجرائم وعدم تحقيق تقدم ملحوظ في التحقيق. توجه إلى مسرح الجريمة الجديد في سيارته، تاركًا حسين ليواصل عمله في مراجعة اللقطات والبحث عن معلومات إضافية .

****

بمجرد أن وصل إلى موقع الجريمة، أصدر تعليمات فوريه بسحب تسجيلات الكاميرات من المتاجر القريبة، ثم دخل إلى مسرح الجريمة محاولاً التمسك بقليل من الأمل رغم مظاهر اليأس الواضحة على ملامحه. كان مدركًا أن هذه الجريمة قد لا تضيف جديد، لكنه أمل في العثور على أي دليل يقربه من تحديد هُوية القاتل .

المشهد كما هو متوقع : بقعة دماء أمام الباب تشير إلى أن الجريمة قد بدأت بمجرد فتحه. الجثة مستلقية على السرير، وقد نُحر العنق وقُطع اللسان ووُضع في اليد اليسرى، كما جرى في الجريمتين السابقتين حيث وُضع العضو المبتور في اليد. العينين تنظرا إلى حائط كُتب عليه بالدم " الصمت لغة العظماء ".

بعد أن أنهى عمر فحصه لمكان الجريمة، توجه إلى الطبيب الشرعي ليسأله عن أي اختلافات بين هذه الجريمة والجريمتين السابقتين. لكن الطبيب أبلغه أن الجريمة مشابهة للسابقتين مع اختلاف في الأعضاء المستخرجة فقط. غادر عمر مسرح الجريمة مسرعًا هذه المرة، وبدأ التحقيق مع الشهود، لكنه لم يتمكن من الحصول على أي معلومات جديدة أو ذات فائدة .

خرج عمر من مسرح الجريمة وهو يشعر بالغضب، وتوجه إلى مقهى قريب ليحاول تهدئة نفسه. طلب فنجان قهوة وأشعل سيجارة محاولاً استعادة تركيزه وسط الضغوط التي كان يواجهها. بينما كان جالسًا، لفت انتباهه مجموعة من الأطفال يلعبوا كرة القدم في الشارع، مما أعاد له ذكريات سعيدة رأها فى احلامه عندما كان صغير لكنها أيضًا أرجعت إلى ذهنه ذكريات أكثر إيلامًا .

قبل أربع سنوات، كانت أسعد لحظاته عندما علم بحمل زوجته بعد أكثر من ثلاث سنوات من المحاولات وزيارات الأطباء المتكررة. كان هو وسارة متحمسين للغاية، حيث شرعوا في تجهيز غرفة الطفل وقراءة كل ما يتعلق بتربيته. بعد ثمانية أشهر من الفرح والاستعداد جاء يوم الولادة. اجتمعت العائلة والأصدقاء لمشاركتهم الفرحة، ولكن الفرحة تحولت إلى مأساة حين وُلد الطفل ميتًا وتضرر رحم سارة بشكل حال دون إمكانية إنجابها مرة أخرى. عانى عمر وسارة من الألم لفترة عامين، حتى قررا زيارة متخصص نفسي لمساعدتهما في تجاوز هذه المحنة .

استعاد عمر تركيزه عند وصول فنجان القهوة، واستمر بمراقبة الأطفال وهم يلعبوا. لم يسعه إلا أن يلاحظ كيف قفز أحدهم فوق سور منزل صغير ليلتقط الكرة التي سقطت فيه، مما ألهمه بفكرة قد تكون مفيدة في تحقيقه. نظر إلى العمارة التي وقعت فيها الجريمة ووجد أن العمارة المجاورة لها متساوية في الارتفاع. تساءل عما إذا كان القاتل قد استخدم السطح للانتقال بين العمارتين. صعد عمر بسرعة إلى السطح واكتشف أن الحاجز الفاصل بين العمارتين كان مغطى بالتراب باستثناء منطقة صغيرة بدت نظيفة. نزل بسرعة ليبلغ الطبيب الشرعي بالدلائل التي تشير إلى أن القاتل على الأرجح استخدم السطح في انتقاله. طالبهم بالبحث عن أي بقايا حمض نووي أو أدلة في تلك المنطقة. بعد إبلاغ الطبيب الشرعي تفقد عمر العمارة المجاورة، ولاحظ أنها تحتوي على مدخل واحد فقط، ورصد وجود كاميرا من متجر مقابل تغطي المدخل. بمجرد تأكيد وجود الكاميرا، اتصل عمر بحسين ليوافيه بالتطورات الجديدة والتوجيهات المتعلقة بالتحقيق .

- حسين، لا تركز على مراجعة الكاميرات السابقة، القاتل دخل وخرج من عمارة مختلفة .

- ماذا حدث ؟

- وجدت أثراً على السطح يربط بين العمارتين وهناك كاميرا تغطي مدخل العمارة الأخرى. سأرسل لك شرائط المراقبة على الفور .

بدأ شعور الإحباط الذي رافقه طوال فترة التحقيق يختفي تدريجياً. كان العثور على خيط في القضية بمثابة شعاع من الأمل، حيث شعر أن الأمور بدأت تأخذ منحنى إيجابياً في التحقيق، وأن معرفة القاتل أصبحت مجرد مسألة وقت .

****

بعد اكتشافه للمسار الذي استخدمه القاتل في مسرح الجريمة الأخير، توجه بسرعة إلى مسارح الجريمة الأخرى لفحص نفس الاحتمال .

في الجريمة الأولى : وجد أن العمارتين متساويتين فى الطول ونفس الأثار فى العمارتين السابقتين .

أما في الجريمة الثانية : وجد أن العمارتين يفرق بينهما دور واحد فقط، مما يجعل من الممكن القفز بينهما ولاحظ آثار صعود شخص على السطح في إحدى العمارتين .

بعد أن جمع عمر جميع لقطات كاميرات المراقبة من المحلات المحيطة بموقع الجريمة، أرسلها إلى حسين وأخبره بحماس أنهم اقتربوا كثيرًا من القبض على القاتل. كان حسين يشعر بالتعب نتيجة لساعات طويلة من العمل، وخشى أن يؤدي ذلك إلى ارتكاب أخطاء أثناء مراجعة الشرائط. لذلك قرر أن يتولى الضابط جمال هذه المهمة. رغم أن عمر شعر ببعض الاستياء من فكرة نقل المسؤولية إلى شخص آخر، إلا أنه مُدرك أهمية الحفاظ على التركيز والانتباه خلال مراجعة اللقطات، خاصة مع ضغط الوقت، فوافق على ذلك .

****

عاد عمر إلى قسمه لمراجعة القضايا، وتلقى مكالمة من رقم مجهول. كانت نبرة المتصل توحي بأنه قد يكون القاتل المتسلسل الذي يطارده .

- المتصل : هل واجبك هو تطبيق القانون أو تحقيق العدالة ؟

- الاثنين واحد .

- لا، ليس واحد. هناك الكثير من الأشخاص في العالم يعيشون فوق القانون، على الرغم من أن الجميع يعرف أنهم مجرمون. ومع ذلك، لا يدخلون السجن أو يُحاكموا، ويعيشوا حياتهم بكل حرية. لنفترض أن أحدهم قام بتطبيق العدالة بعيداً عن إطار القانون، بسبب عجز القانون عن تحقيقها. هل تعتقد أن هذا صواب أم خطأ ؟

- سكت عمر لحظة ثم أجاب : هذا ما تظن أنك تفعله. لكن كيف ستعرف الصواب من الخطأ؟ كل شخص يعتقد أن رأيه هو الصحيح. فنحن كبشر نتأثر بالعواطف والأحداث التي مرت بنا، وهذا يمكن أن يؤثر على قراراتنا المستقبلية. لهذا السبب اتباع القانون هو الحل الأمثل لأنه مبني على هيئات من أفراد ذوي دراسات عالية في مجالاتهم، يتصرفون بعيداً عن عواطفهم. إذا بدأ كل شخص بتطبيق قانونه الخاص سيتحول المجتمع إلى غابة .

- المتصل ضاحكاً : انظر من حولك، المجتمع غابة بالفعل. لكن لنفترض أنني متأكد بنسبة مئة بالمئة أنني محق وأن من تعتبرهم ضحايا هم في الحقيقة أشرار والقانون لن يحاسبهم. هل ستظل تسعى لاعتقالي، حتى لو كان هذا يعني أن الأشرار سيستمرون بلا حساب، أم تفضل أن يموتوا وينتهي الأمر ؟

- كما قلت، هذه مجرد وجهة نظرك. لا يمكننا اعتبارها قاعدة يجب اتباعها. إذا كان هناك من تعتبره شريراً، قُل لي وسأتحرى عنه وأتعامل معه كما يجب. لكن لا يمكنني أن أتركك تطبق القانون بيدك على أي شخص تعتبره مخطئاً .

- لا زلت تعتقد أنني شخص غبي، أليس كذلك؟ وسأقدم لك الأسماء بكل سهولة ؟

- طبعًا لا. أنا متأكد أنك ذكي، لكن لا يوجد شخص ذكي في كل المجالات. وبخصوص الأسماء لا أريدها. أريدك فقط أن تعرف بأنه من الممكن أن تكون مخطئاً .

- أتمنى أن تفكر في احتمال أنك أيضاً قد تكون مخطئاً. لكنك لم تجبني بعد. إذا كنت متأكداً تماماً أن الشخص أمامك يستحق الموت ولا يمكن للقانون تحقيق العدالة بحقه، هل ستنفذ القانون بنفسك أم ماذا ستفعل؟ وهذا بعيد عني، أتكلم هنا بشكل عام .

- لا يمكن لأحد تطبيق القانون من خلال القتل، ثم استخراج الأعضاء وكتابة رسائل بالدم على الحائط هذه أفعال انتقامية ليست قانوناً. القانون الحقيقي سيطبق عندما أعتقلك ورغم ما فعلته، ستحصل على حقك في المحكمة وسيصدر الحكم عن طريق متخصصين كما تحدثنا. هذا هو القانون، وهذه هي العدالة .

- المتصل بخيبة أمل : كنت أفضل إقناعك، لكن يبدو أنك متأثر بأعراف وتقاليد المجتمع. ستظل تهرب من الأسئلة والحقائق التي تعلم أنها صحيحة، ولن تغير طريقة تفكيرك. رغم ذلك، لا يهم، فلا تزال الخطة مستمرة .

أغلق المتصل المكالمة بعد ذلك .

استمر عمر في التفكير في كل ما قيل حتى غلبه النعاس وعاد إلى منزله في الحادية عشرة مساءً .

****

دخلت سارة إلى المنزل عند الحادية عشر والربع مساءً وتوجهت فورًا إلى النافذة لتنظر من خلالها .

- في حاجة ولا إيه؟ سأل عمر .

- حاسّة كأني مراقبة، أجابت سارة .

- تنهد عمر وقال : كان المفترض أنهم يراقبوكِ من غير ما تعرفي .

- ليه يراقبوني؟ تساءلت سارة .

- القضية التي أخبرتك عنها قبل يومين، القاتل اتصل بي اليوم، لذا قررت أن أضع حراسة عليك حتى تنتهي القضية .

- هو هددك ؟

- لا، هو سأل عن تأثير القضية علي .

- وماذا يعنى بهذا ؟

- هز عمر رأسه بعدم معرفة .

- ثواني، كيف عرف رقمك من الأساس ؟

- لا أدري .

- ممكن يكون حد يعرفك .

- الصوت ليس مميز .

- ممكن يستخدم برنامج لتغيير الصوت هذه الأشياء تملأ النت .

- لو قام بذلك، فلن أتعرف عليه .

- سارة بقلق : تفتكر ممكن يكون عايز يأذينا ؟

- لا تقلقي، احنا قريبين من الوصول إليه. خلال يومين أو ثلاثة سنتمكن من القبض عليه. وفي هذه الأثناء، ستكون هناك حماية على المنزل ولكِ .

- كيف ستصلوا إليه ؟

- بنعاين كاميرات المراقبة حالياً وقربنا نعرف شكله .

- ومعرفة الشكل هتأدي للقبض عليه؟ ممكن يتنكر .

- حتى لو اتنكر، معرفة الشكل هتساعدنا نعرف اسمه وعنوانه والأماكن اللي بيتردد عليها، فالوضع هيبقى أسهل كثير بعد ما نعرف شكله .

- ربنا يوفقك. قالت سارة والقلق ما زال يساورها ثم بدأت بوضع الطعام على الطاولة ليبدآن العشاء .

حاول عمر تغيير الموضوع ليبعد ذهنها عن القلق .

- عملتِ إيه النهارده في الشغل ؟

- محاولتك لتغيير الموضوع فاشلة، أنت عارف أن مستحيل أكلمك عن عملي .

- عمر مبتسم : هو أنا واضح للدرجة ؟

- أنا زوجتك، وكمان دكتورة نفسية، ممكن تعتبرنى بقرأ أفكارك .

- أذن فى ماذا أفكر الان ؟

- نظرت سارة في عيني عمر ثم تنهدت وقالت : عايز تاكل وبعدين تعمل حاجة بعد الأكل وبعدين تنام، بس مزاجي معكر، فهيبقى أكل ونوم فقط .

- طب خلاص، سيبيني أغير لك مزاجك .

- انت شكلك هتموت وتنام أصلاً، وبعد الأكل كمان هتبقى عايز تنام زيادة .

- إذا كان المشكلة في الأكل، فأنا انتهيت .

- لا أفهم كيف تفكر في هذا الان بينما لديك قضية وجرائم قتل تفكر فيهم .

- ضعى نفسك مكاني، عندما أكون متزوج من أحلى امرأة في الكون، يجب أن أفكر في هذه الأمور .

- سارة بابتسامة : ضحكت عليّ يعنى .

- أتمنى طبعًا .

أنتهى العشاء، وذهب عمر ليغسل يديه ثم ينتظر سارة في غرفة النوم .

حلم

رأى عمر نفسه في غرفة واسعة مع مجموعة من الأطفال الآخرين. الغرفة غارقة في الضوء الدافئ، وبأصوات الاطفال وهم يتبادلوا الحديث والضحكات. يقف الأطفال في صفوف مرتبة كما لو أنهم ينتظرون شيئًا مهمًا أو شخصًا معينًا. أمامهم يقف رجل مسن، يبدو عليه أنه شخص ذو مكانة عالية، لكن عمر لم يكن لديه ذكريات واضحة عن هويته .

دليل

٢٠٢٥/١/٤

استيقظ عمر في الحادية عشر صباحًا، مدركًا أنه نال قسطًا من النوم أطول من المعتاد. كانت تلك ليلة طويلة بعد يوم متعب من العمل والتحقيق في القضايا. اتجه إلى الحمام ليغسل وجهه وينعش نفسه. في طريقه قابلته سارة بابتسامة وهي تسأله : إيه أخبار تغيير المزاج؟ بدون أن يتكلم، اكتفى بالابتسام وسحب سارة من خديها ليبعدها عن طريقه إلى الحمام. بعد أن أنتهى من الاستعداد، وجد أن سارة قد أعدت فطورًا شهيًا لهما. كانت الأجواء مريحة وهادئة مما أتاح لهما فرصة قضاء لحظات ممتعة معًا قبل أن يذهب عمر إلى العمل. جلسا معًا على مائدة الإفطار، حيث تناولا الطعام وتبادلا الحديث عن المهام التي تنتظرهما. بعد الانتهاء من الإفطار، ودع عمر زوجته وتوجه إلى عمله .

****

بمجرد دخوله القسم، توجه إلى مكتب حسين ليجده مع جمال بداخله. سلم عليهم وسأل : ما الجديد ؟

- جمال : تمكنا من تحديد شخص دخل العمارة في الساعة الحادية عشر مساءً يوم الجريمة وغادر في الرابعة صباحًا. لكن يبدو أنه يعرف مواقع الكاميرات وتجنب أن يتم تصوير وجهه، لذا لم نتمكن من تحديد ملامحه .

- هل هناك أي كاميرا تمكنت من التقاط وجهه ؟

- لا .

- عمر : حسنًا هو ذكي في تجنب الكاميرات، لكنه ارتكب أول خطأ له. الان احنا عرفنا هيئته، وعلينا تجهيز أفضل اللقطات الواضحة له ، ثم نعرضها على الشهود في المناطق الثلاث ونحصل منهم على مواصفات هذا الشخص

ثم نرسل الشهود الذين تتطابق مواصفاتهم إلى الرسام الجنائي وهيبقى الأمر مسألة وقت ونعرفه .

بينما كان الفريق مشغولًا بإعداد اللقطات، طرق الأمين سعيد الباب ليخبر عمر بأن العميد عماد يريده في مكتبه فورًا. دخل عمر إلى مكتب العميد وقدم التحية فأشار له بالجلوس وأعطاه جريدة اليوم .

سفاح الاعضاء

دفع ثلاثة اشخاص حياتهم ثمناً لسفاح الاعضاء، ففى الثلاثة ايام الماضية تم قتل دكتورين ومديرة مدرسة، القتل تم عن طريق نحر اعناقهم ثم انتزاع اعضائهم، فتم انتزاع قلب الاولى ومخ الثانى ولسان الثالثه ثم الكتابة بدمائهم على الحائط رسائل معينة .

تستمر تحقيقات الشرطه لمعرفه القاتل و سبب القتل، لكن كم ضحية ستسقط قبل العثور عليه؟ ما معنى هذة الرسائل؟ هل سيكون هناك ضحية رابعه ام لا؟ ومن سيكون الضحية القادمة .

نظر العميد إلى عمر منتظرًا منه الرد .

- عمر : أحنا قدرنا نوصل يا فندم إلى تفاصيل دقيقة حول هويته. هو كان بيتجنب أن يظهر وجهه أمام الكاميرات، ولكن نحن نعمل مع الشهود لمعرفة ملامح وجهه، وبمجرد أن يرسمه الرسام الجنائى، ستصبح مسألة وقت قبل أن نقبض عليه .

- آمل أن لا يحدث ذلك بعد فوات الأوان .

- كلنا نعمل بأقصى جهد، وإن شاء الله سيكون لدينا معلومات جديدة اليوم .

- لا أريد أي ذكر للضحية الرابعة في جريدة الغد .

- تمام يا فندم .

بعد أن تلقى التعليمات من العميد عماد، أشار لـه بالمغادرة فقام عمر بالتحية وانصرف من المكتب .

عاد عمر إلى مكتبه، وفتح ملف القضية أمامه محاولاً التركيز والتفكير في الأمور التي ربما أغفلها وكيفية اتخاذ خطوات أكثر فعالية لحل لغز القاتل المتسلسل. بينما كان يبحث عن الخيوط أو الأدلة التي قد تقوده إلى الجاني، سمع طرقًا على الباب، دخل الضابط جلال الذى كان يحمل خبرًا مهمًا يتعلق بالقضية .

- جلال : هناك حادثة حدثت منتصف الليل، وأعتقد أنها مرتبطة بقضيتك. شخص هجم على صلاح نوح، فراش في مدرسة الشهيد عبد الرحمن خطاب فى منتصف الليل وعندما سمع الجيران صراخ فى شقته قاموا بكسر الباب ودخلوا، ليكتشفوا أن عينيه مصابتين، والمعتدى هرب مسرعًا من النافذة. أعتقد أنه قد يكون القاتل الذى تبحث عنه، لكنه لم يستطع أكمال الجريمة هذة المرة وفر هاربًا قبل أن يقتل الفراش ويكتب الرسالة .

انتاب عمر حماس شديد، فقد يكون الناجي من الهجوم هو المفتاح لحل القضية. بسرعة أخذ عنوان المستشفى وتوجه إليها .

****

فور وصول عمر إلى المستشفى، استفسر عن مكان صلاح وتوجه بسرعة إلى غرفته. عندما دخل رأى صلاح نائمًا وعينيه مغطاة جراء الإصابات التي تعرض لها. حاول إيقاظه لكنه لم ينجح. استدعى الممرضة ليحصل على مزيد من المعلومات حول حالة صلاح. جاءت الممرضة وأبلغته بأنه تحت تأثير المخدر الان وأنهم يقدمون له مسكنات ليبقى مرتاحًا فى الوقت الحالى .

- عمر : أرى عينيه مغطاة هل ما زال يرى؟ أنا بحاجة لسؤاله عن معلومات مهمة عن المعتدي، متى تتوقعون أن يستيقظ ؟

- من المتوقع أن يستفيق فى حوالي العاشرة ليلاً، لكنه لن يستطيع أن يرى شئ فى الوقت الحالى لكن مع الوقت والعلاج سيصبح أفضل .

في هذه الأثناء، قام عمر بتعيين حراسة لصلاح والتوجه إلى منزله لمعاينة مسرح الجريمة .

****

عند وصوله، وجد أن فريق الطب الشرعي على وشك المغادرة. سارع لسؤال الدكتور المسؤول عن الأدلة الموجودة في الموقع. وأخبره الدكتور بابتسامة أنهم عثروا على عينتين من الدم، واحدة منهما تعود للمجرم بالتأكيد، بالإضافة إلى العديد من عينات الشعر ونظرًا لحدوث اشتباك بينهم، فمن المحتمل جدًا أن يكون قد سقطت خصلة من شعر المجرم. كما اكتشفوا أداة الحديد التي استخدمها كسلاح لضربهم عند فتح الباب، ورغم أنه كان يرتدي قفازات، إلا أنه من الممكن أن نجد آثارًا عليها أيضًا، لأنه من المؤكد أنه احتفظ بها معه طوال الفترة الماضية .

شعر عمر بالنشوة لمعرفته أن المجرم ارتكب خطأ آخر يقرّبه خطوة نحو حل القضية. شكر الطبيب ثم انطلق للتحقيق مع الشهود .

- قول يا حسان، إيه اللي حصل بالضبط ؟

- كنا نائمين يا باشا وفجأة استيقظت على صوت طرقات في شقة صلاح. خرجت لأطرق على باب شقته لأرى ما يحدث وفجأة سمعت صراخًا. قمت بكسر الباب ودخلت، فوجدت صلاح ملقى على الأرض، بينما قفز الولد من الشباك. قفزت وراءه مباشرة وكنت أنادي لأحد أن يمسكه، لكن للأسف كان الوقت قد تأخر والشارع خاليًا. ركضت خلفه لبعض الوقت حتى تعبت، ورغم محاولتي لكن بسبب فرق السن تمكن الولد من الهرب مني .

- أنت تستمر بقول "الولد"، أنت رأيت وجهه ؟

- لا، يا باشا. لكنه كان سريعاً وخفيفاً، لذا أظن أنه لا يزال صغيراً .

- وبعد ذلك، ماذا فعلت ؟

- لما رجعت اكتشفت إن الجيران طلبوا الإسعاف ثم أخذوه وكل واحد رجع لبيته .

- تعرف صلاح ساكن هنا بقاله قد إيه ؟

- احنا هنا من تسع سنين وهو موجود قبلنا .

- شكراً جزيلاً على مساعدتك يا حسان هذة كل الأسئلة .

- أنا في خدمة الحكومة يا باشا .

بعد انتهاء استجواب حسان، تابع عمر التحقيق عبر استكشاف المنطقة التي فر منها الجاني. كان يسعى للحصول على أي أدلة إضافية، خصوصًا من خلال كاميرات المراقبة الموجودة في المكان. وقام بسؤال أصحاب المحلات، ولكن معظمهم لم تكن كاميراتهم تعمل أثناء فترة الإغلاق، عدا محل واحد فقط. لذا حصل على أشرطة الفيديو لمراجعتها ثم توجه عائدًا إلى القسم .

****

عند دخوله القسم، استقبل حسين عمر وأبلغه أن الشهود قد انتقلوا إلى الرسام، وأنه ليس أمامهم سوى القليل من الوقت للتعرف على شكل الجاني .

- عمر بابتسامة : عظيم، لأول مرة تسير الأمور بشكل صحيح .

ثم قام بمراجعة الشرائط الأمنية التي حصل عليها، لكنه لم يجد سوى لقطة واحدة للمجرم وهو يمر بسرعة أمام الكاميرا، ولم تكن واضحة بما يكفي لتحديد هويته بدقة. في الساعة الثامنة مساءً، دخل حسين إلى مكتب عمر ليخبره بأن الرسام انتهى من العمل مع أول شاهد ولا يزال يستكمل مع البقية،

ثم سيقوم بمقارنة الرسومات. وعرض عليه أن يأتي ليرى إذا كانت الصورة الأولية تشبه أحدًا يعرفه .

ذهب عمر مع حسين إلى الرسام ليفحص الصورة الأولية التي أُعُدت بناءً على شهادات الشاهد .

- عمر : لدي شعور أنني رأيت هذا الشخص من قبل، لكنني لست متأكدًا من هويته. النظارات والقبعة تغطي جزءًا كبيرًا من وجهه، مما يجعل التعرف عليه صعبًا. هل تستطيع رسمة بدونهم .

- الرسام : الأمر ليس بهذة السهولة فشكل العيون والشعر عاملان مهمان، سأنتظر باقى الشهادات ثم سأحاول على قدر استطاعتى .

- حسين مقاطعًا : ماذا كان يعني بتأثير القضية عليك إذا لم تعرفه ؟

- لا أعلم، ولكن مر الكثير من الوقت. قد يكون صلاح استعاد وعيه، هيا لنذهب إليه، شهادته ستوضح لنا الكثير .

انطلق عمر وحسين في طريقهم إلى المستشفى للقاء صلاح، آملين أن تقدم شهادته معلومات هامة حول الجاني .

- حسين : أنا لاحظت شئ غريب فى القضية، جميع الضحايا كانوا فوق الخمسة وخمسين سنة، ومتقاربين فى الأعمار .

- وماذا يعني ذلك ؟

- لا أعلم، لكنني أحاول البحث عن أي رابط بينهم ولم أجد سوى أن أعمارهم متقاربة. لقد بحثت في أماكن عملهم وأماكن سكنهم، سواء كانت قديمة أو جديدة، ولكن لم أجد شيئًا .

- أحيانًا، بعض التفاصيل تُعرف فقط بعد أن تُحل القضية، وليس قبلها .

- لكن كيف سنصل إلى الجاني ما لم تكن لدينا معلومات كافية ؟

- مثلما يحدث الآن، الجاني مهما كان بارعًا، سيرتكب خطأ ما وسنتمكن من الإمساك به .

- أتمنى أن يكون لدى صلاح شيء مفيد هذه المرة .

****

عندما وصل عمر وحسين إلى المستشفى، وجدا صلاح لا يزال نائمًا بعد العملية، بجانبه تجلس امرأة مسنّة يبدو عليها الحزن .

- أنا الضابط عمر وهذا حسين، هل يمكنكِ أن تخبرينا علاقتك بصلاح ؟

- أنا والدته .

- أسأل الله أن يخفف عنك، يا حجة .

- شكرًا لك، لكن كيف يمكن لأحد أن يفعل ذلك بابني؟ فهو لم يؤذِ أحدًا في حياته. هل وجدتم معلومات عن من فعل ذلك .

- نعم، وسنحصل على معلومات أكثر من صلاح عندما يستفيق .

- والدته بغضب : أى معلومات وهو فى هذة الحالة ؟

- عذراً يا حجة، لكن صلاح هو من سيوصلنا للمجرم الذي فعل به ذلك .

- أثناء حديثهم، بدأ صلاح يستيقظ من نومه، مما جعل الجميع يلتفتون إليه .

- صلاح، سامعني ؟

مفعول المخدر لم يختفِ تمامًا، أخبر عمر حسين أن يحضر الدكتور. جاء الدكتور والممرضة وأخبروهم أن يخرجوا من الغرفة الان .

- عمر : نحن بحاجة للتحدث معه بشكل عاجل .

- الدكتور : انتظروا قليلاً في الخارج، ثم يمكنكم الدخول مرة أخرى .

بعد انتظار عشر دقائق، سمح لهم الدكتور بالدخول .

- أم صلاح : هل أنت بخير ؟

بدت على صلاح محاولة لمنع نفسه من البكاء، فتدخل الدكتور ليهدئه ويخبره بأن البكاء غير جيد له .

وجد عمر أنه من الأفضل أن يستأذن والدة صلاح للخروج من الغرفة، حتى لا تؤثر علي صلاح عاطفياً وتزيد من توتره. ثم جلس مقابل صلاح وطمئنه بأنه وضع حمايه له، ثم سأله أن يروي له ما حدث .

- قال صلاح بصوت خافت : حوالي الساعة الثانية عشر، سمعت طرقًا على الباب. عندما فتحته فوجئت بضربة بحديدة على رأسي. سقطت على الأرض ودخل وأغلق الباب وراءه .

توقف صلاح، وعلامات التأثر واضحه عليه .

- سأل عمر : وماذا حدث بعد ذلك ؟

- أكمل صلاح : أخرج سكيناً واقترب مني فركلته بقدمي ووقعت السكين. أخذتها وبدأت أصرخ طالبًا للمساعدة، لكنه استعاد الحديدة وضربني به مرة أخرى. حاولت الدفاع عن نفسي وأبعاده ولكنى جرحته فقط قبل أن يضربني مرة أخرى على رأسي وأفقد الوعي .

- صمت صلاح لحظة ثم تابع : استيقظت وأنا أشعر بألم شديد وهو يحاول فقع عيني، سمعت صوت الباب ينكسر مع أصوات أخرى، لكن لم أستطع التركيز على شيء .

كانت علامات الانكسار والخوف واضحة على وجه صلاح. تدخل الطبيب لتهدئته مرة أخرى، بينما انتظر عمر قليلاً حتى هدأ صلاح ليستأنف أسئلته .

- لماذا تعتقد أنه هاجمك ؟

- أجاب صلاح : لا أدري، ربما كان يريد سرقتي .

- هل لديك شيء معين يمكن أن يتعرض للسرقة ؟

- لا يا باشا، أنا على باب الله .

- أذن من المؤكد أن السبب ليس السرقة .

صمت صلاح

- استمر عمر فى الأسئلة : عندما رأيته، هل شعرت أنك تعرفه من قبل ؟

- لم أتمكن من رؤيته جيدًا، كل شيء حدث بسرعة ولم ألاحظ شيئًا .

- حسنًا، يا صلاح .

- ممكن تدخلوا أمي، لو سمحت .

- طبعًا ولكن لدي سؤال أخير. هل تعرف دكتور سمير المهدي وسعاد سعيد والأستاذة آية كمال ؟

لاحظ عمر أن صلاح أصبح متوترًا بمجرد سماع الأسماء وأدرك أن هناك شيئًا خفى .

- إذا كنت تعرفهم، يجب أن تخبرنا. قد يكون الآن يفكر في طريقة لإيصال رسالة إليك مرة أخرى، لأن خطته كانت تستهدفكم جميعًا، وقد توفي الثلاثة بالفعل. أنت الوحيد الذي نجوت، ولا أعتقد أنه سيكون سعيد بذلك، لذا أخبرنا حتى نتمكن من القبض عليه وحمايتك وحماية الآخرين إذا كان يفكر في القتل مجددًا .

بعد لحظة من التردد، طلب صلاح التحدث بشكل خاص.

طلب عمر من الدكتور والممرضة الخروج، بينما بقي حسين في الغرفة بهدوء.

- يمكننا التحدث الان .

- أوعدني بتوفير الحماية الكاملة لى إذا كان هناك شيء مما سأقوله قد يعود لإيذائي مرة أخرى .

- لا أستطيع أن أعدك بشيء حتى أعرف ما يحدث أولاً، لكن إذا كنت ستساعد الشرطة، فمن المؤكد أننا سنقدم لك المساعدة .

- استجمع صلاح أنفاسه وبدأ يبوح بالماضي الذي سعى لنسيانه : قبل أن أعمل كفراش في المدرسة، كنت أعمل كفراش في ملجأ للأطفال. كنا جميعًا نعمل هناك. لكن الملجأ كان واجهة لشيء آخر...

- سكت صلاح إلى أن سأله عمر : ماذا كان ذلك الشيء ؟

- كان هناك مخبأ تحت الأرض داخل الملجأ، وكان يحدث فيه تجارب على الأطفال .

- تجارب على الأطفال! أي نوع من التجارب ؟

- لا أعرف .

- هل كانت تلك التجارب نفسية أم جسدية؟ هل سمعت صرخات أو رأيتهم يتألمون من قبل ؟

بدا صلاح متردداً في الإجابة .

- صلاح، إذا فعلت شيئًا خاطئًا في الماضي، فهذه فرصتك لتكفر عن ذنوبك. القاتل عندما كان يقتلهم ، كان يترك رسائل بدّم الضحايا على الحائط، مما

يعني أنه كان يريد إيصال رسالة معينة. إذا ساعدتني على فهم الأمور، سنتمكن من الوصول له بشكل أسرع ونستطيع حمايتك أنت وغيرك .

- بدأ صلاح يتحدث مرة أخرى، لكن كان واضحًا عليه التردد : أحيانًا كنت أسمع صراخًا، لكن غالبًا ما كانوا يقدمون لهم أدوية مخدرة وبعد انتهاء عملهم كنت أدخل لتنظيف المكان وأجد أحيانًا دماء .

- شعر عمر أن صلاح يخفي شئ : هل لديك أي فكرة عن ما كان يحدث ؟

- لا، شغلي كان مجرد التنظيف ومساعدتهم لنقل الاشياء .

- وهل تعتقد أن من يلاحقكم يعرف ما كان يحدث، أو قد يكون أحد الأطفال بعد أن كبر ؟

- لا أعتقد أن الأطفال يعرفون، لأنهم أخبرونا أنهم تناولوا عقارات معينة جعلتهم ينسوا كل ما حدث .

- ما هي هذه العقارات ؟

- لا أعلم .

- عندما قمنا بالتحريات عنكم، لم نجد أي شيء يتعلق بعملكم في الملجأ، لماذا ؟

- بعد انتهاء المشروع، تم التغطيه عليه واتبدلت كل سجلتنا في الفترة دي بشغل تاني .

- متى بدأ هذا المشروع ؟

- من ١٨ سنة .

- ومتى انتهى ؟

- بعد أربع سنوات .

- هل كنتم الأربعة فقط من لديكم الوصول للأطفال ؟

- لاحظ عمر تردد صلاح مرة أخرى، مما دفعه لطرح سؤال أكثر حساسية : حتى يتم تنفيذ مشروع مثل هذا، من الضروري وجود شخص ذو نفوذ في البلد يدعمه. من هو؟

- رفض صلاح الإجابة حتى سأل عمر مرة أخرى. لو جاوبت بسرعة، أنت مش بتأذيه. بالعكس أنت بتدينا فرصة لحمايته وهو هيشكرك لما يعرف دورك. قول مين هو ؟

- تلعثم صلاح وهو يقول : لم يذكر اسمه وقتها، لكنني رأيته على التلفزيون مؤخرًا. هو بقى محافظ جديد اسمه.... ياسر الشاذلي .

- حسين : إيه !

- شعر صلاح بالقلق : مين اللي بيتكلم ؟

- أجاب عمر : الضابط حسين معي، لا تقلق .

- رد صلاح : لكن حضرتك قلت لي إننا لوحدنا .

- قاطع حسين بغضب : كان دوره إيه ؟

- قال صلاح : لن أجيب على أي شيء بدون وجود محامى .

- حسين يضع يديه على عنق صلاح قائلاً : لن أكرر حديثي مجدداً. ماذا كان دوره ؟

اكتشف عمر جانباً من حسين لم يكن يعرفه من قبل، لكنه قرر أن يتجاهله ببساطة للحصول على المعلومات .

- تحدث صلاح بخوف : كان هو الرئيس. لم يكن يتواجد معنا يومياً مثل الآخرين، لكنه كان يأتي بين الحين والآخر لمراقبة الأوضاع. كانت محادثاته مع الأطباء والمديرة. لم يكن لي دور هام ونادراً ما كان يتحدث إليّ .

- هل كانت هذه التجارب تتم بمعرفة الدولة ؟

- لا أعلم .

- حسين بغضب : أذن ما الهدف منها

- صلاح وهو يرتعد : لا أعرف .

- وهو يضغط بقوة على رقبة صلاح، قال حسين : المحافظ ياسر الشاذلي يبقى والدي، لذا من مصلحتك أن تجيب على الأسئلة قبل أن أفقد أعصابي .

- صلاح، مرتعشاً من الخوف : والله لا أعلم شيئاً. لقد قلت لكم كل ما أعرفه. أنا كنت مجرد فراش، ولا أملك أي معلومات عن الملجأ أو التجارب .

أدرك عمر أنهم لن يحصلوا على المزيد من المعلومات من صلاح وعليهم سؤال المحافظ بنفسه فقام بتهدئه حسين وأخبره بضروره الكلام مع المحافظ .

حاول حسين الاتصال بوالده، لكن الهاتف كان مغلقاً .

- حسين : لقد تأخر الوقت، يبدو أنه نام .

- عمر: لكن لا يمكننا الانتظار حتى يستيقظ .

- أذن لنذهب إليه .

ركب عمر وحسين السيارة وانطلقوا في صمت، كانت عينا عمر تراقبان الطريق بينما كان حسين يحاول الاتصال بوالده، حتى تذكر عمر فجأة فقال : إذا كان والدك آخر شخص يعرف بمكان الملجأ والأخرون قد تم قتلهم فهذا

يعني أن اليوم هو اليوم الذي سيستهدفه القاتل فيه، لأنه لن يعود لصلاح الان وسيحاول أن ينتهى مع البقية قبل أن نتحدث مع صلاح .

ازداد التوتر، أخرج حسين هاتفه مرة أخرى وحاول الاتصال بأخته، لكن بلا فائدة .

- عمر : اتصل بالشرطة .

تواصل حسين مع الشرطة وأبلغهم بالوضع، بينما حاول طمأنة نفسه بصوتٍ مرتفع : الكومباوند محاط بحراسة، من المستحيل أن يعرف القاتل كيفية الوصول إليه .

استمروا في الصمت بقية الطريق، حيث كان عمر يركز على القيادة وحسين يحاول الاتصال بوالده مجددًا. كان التوتر يزداد مع مرور كل دقيقة. وصلوا إلى المنزل، وما زال التوتر في تصاعد ؛ إذ كانوا يأملوا أن يكونوا قد وصلوا في الوقت المناسب لمنع أي هجوم. كانت لديهم رغبة قوية في الوصول إلى الحقيقة مع حماية المحافظ قبل فوات الأوان .

****

عند وصولهم إلى منزل المحافظ، كان حسين ممسكًا بالمفاتيح في يده وفتح الباب بسرعة وهو ينادي بصوت عالٍ على والده. ما إن دخلا حتى سمعا صوت مرتفع يأتي من غرفة والده. صعد حسين مسرعًا وبيده المسدس وعندما فتح الباب، رأى المجرم يقفز من النافذة، أطلق رصاصة نحوه لكن القاتل قفز قبل أن تصيبه. ليجد حسين والده ملقى على الأرض وسط بركة من الدماء، فصرخ وجري نحوه. بينما قفز عمر من النافذة خلف القاتل متتبعًا إياه عبر البيوت المجاورة.

استمرت المطاردة بين البيوت حتى قفز القاتل إلى إسطبل للخيول، فدخل عمر الإسطبل بحذر، ممسكًا بمسدسه ويتقدم بخطوات بطيئة. كان الظلام

يحول دون رؤيته لأي شيء على بعد أكثر من متر. مع اقتراب سيارات الشرطة حاول عمر استغلال الوضع لصالحه .

- سلم نفسك، البوليس محاصر كل المخارج ومع وصول الدعم أي محاولة للهروب هتكون نهايتك .

بينما تقترب الشرطة من المكان، اتخذ عمر وضعًا دفاعيًا معتمدًا على توتر المجرم. كان يعلم أن الوقت في صفه الآن، فحاول الضغط نفسيًا على المجرم لكسر إرادته .

- لا جدوى من الهروب الان، الطريقة الوحيدة للخروج من هنا هي أن تسلم نفسك .

أثناء حديثه، سمع فجأة صوت صهيل الخيول وشعر بهجوم سريع نحوه اندفعت مجموعة من الخيول باتجاهه مما أدى إلى اصطدام أحدها به، رأى القاتل يندفع نحوه وهو يحمل سكينًا. أطلق عمر رصاصة نحوه، لكن القاتل كان أسرع وطعنه بالسكين في كتفه ليسقط عمر على الأرض والمجرم فوقه .

سقط المسدس من يد عمر وبدأت معركة للسيطرة عليه، حاول كل منهما الإمساك بالمسدس حتى تمكن القاتل في النهاية من الإمساك به، حاول توجيه المسدس نحو عمر. عندها أمسك عمر بيد القاتل في محاولة لمنعه من إطلاق النار. بدأت معركة قوة بينهما، القاتل يحاول توجيه المسدس نحو رأس عمر، بينما كان عمر يقاوم. استطاع عمر دفع يد القاتل بسرعة، مما أدى إلى إطلاق رصاصة بجوار رأسه قبل أن يتدحرج المسدس بعيدًا. تعرض عمر لضربة قوية في وجهه من قبل القاتل، الذي سحب السكين من كتفه بعد ذلك وحاول مهاجمة عمر بها. ركله عمر برجله مما أدى لسقوط السكين. بدأ الاثنان يزحفان نحو المسدس، تمكن عمر من الوصول إليه أولاً وتوجيهه نحو القاتل. ولكن القاتل قفز فوق عمر وأمسك بيده ومحاول توجيه المسدس نحو عمر مرة أخرى. القاتل يسعى بكل قوته للتفوق، بينما يحاول عمر ابعاده

لكن الإصابة قد أضعفت قدرته على المقاومة. مع اقتراب القاتل من تحقيق التفوق، اقتربت اللحظة الحاسمة .

- القاتل : لا أعلم إذا كان موتك الآن سيكون له أي فائدة أم لا، لكن هذا هو الخيار الوحيد المتاح لي في الوقت الحالي .

كان المسدس على بعد سنتيمتر من رأس عمر، ومع استمرار محاولاته للمقاومة، وضع القاتل فوهة المسدس على رأس عمر وقبل أن يضغط الزناد قال : انقذنا .

طاااااااخ !

مر شريط حياة عمر أمام عينيه، مجسدًا لحظاته الحلوة والمرة في أقل من ثانية، حتى سقط القاتل ميتاً فوقه. بعد أن ابعد الجثة، نظر حوله ليجد أن حسين هو من أطلق عليه النار. بعد تلك اللحظة العصيبة التي انتهت بمقتل القاتل وقف حسين في حالة من الانهيار ومسدسه لا يزال موجهًا نحو جثة القاتل. اقترب منه عمر ببطء ووضع يده عليه محاولًا تهدئته بكلمات بسيطة. خفض حسين يده ببطء تاركاً المسدس ينزل من يده دون أن يتفوه بأي شئ. بدا كأنه في حالة من شرود، وكأن عقله ما زال يحاول استيعاب ما حدث. كان واضحاً أنه يعاني من صدمة عاطفية عميقة. دون أن ينطق بكلمة استدار حسين ومشى في صمت نحو منزله. حاول عمر مناداته، لكن حسين لم يلتفت إليه فقد كانت الصدمة تسيطر عليه تمامًا. بعد مغادرة حسين، بدأ عمر بالتعامل مع إصابته. وضع قطعة قماش على جرح الطعنة في كتفه وضغط عليها لإيقاف النزيف، منتظرًا وصول الإسعاف. عندما وصلت الشرطة، أخبرهم عمر بكل ما جرى، بما في ذلك تفاصيل المطاردة والمواجهة. وعندما استفسر عن حالة المحافظ، علم أنه قد توفي متأثراً بإصابته. وصلت سيارة الإسعاف لعلاج عمر وتضميد جراحه، وحاول المسعفون إقناعه بالذهاب إلى المستشفى لتلقي العلاج الكامل، لكنه أصر على زيارة بيت المحافظ أولاً. تجمعت سيارات الشرطة والإسعاف حول المنزل، مما يعكس حجم المأساة التي حدثت لتوها. حالما دخل عمر المنزل، شعر بثقل الأجواء والحزن العميق الذي يهيمن على المكان. لدى دخوله، رأى حسين يحتضن شقيقته مريم، والدموع تملأ عينيهما. تردد عمر في نفسه : هل ينبغي عليه الاقتراب منهما الآن ومواستهم أم لا؟ قرر أن يترك لهما بعض الوقت ليتعاملوا مع مشاعرهم دون تدخل من أحد. صعد إلى الطابق الثاني، حيث يرقد والدهم. شاهد فريق الطب الشرعي يعمل بدقة بينما كان العميد عماد يتحدث مع بعض الأشخاص في المكان. عندما شعر العميد بوجود عمر، نظر إليه بنظرة تحمل تأنيبًا، وكأنما يلومه على ما حدث بطريقة ما. قرر عمر النزول ليكون بجانب حسين ومريم في هذه اللحظة الصعبة، لكن بمجرد نزوله السلم، شعر بدوار حاد، وسقط على الأرض مغشيًا عليه .

الفصل الثانى

تحقيق

٢٠٢٥/١/٥

استفاق عمر ببطء في المستشفى محاطاً بأجواء هادئة، لكنه شعر بألم خفيف في كتفه حيث تعرض للإصابة. لفت انتباهه أن سارة كانت نائمة على كرسي بجانبه، وكانت آثار التعب والإرهاق ظاهرة على وجهها. شعر بالعطش الشديد وحاول الوصول إلى زجاجة الماء الموجودة على المكتب بجانبه. بينما كان يحاول الإمساك بها، انزلقت الزجاجة وسقطت على الأرض، مما أحدث صوتاً أيقظ سارة من نومها .

- استفاقت سارة وقد بدا عليها القلق : عمر! أنت بخير ؟

- عمر، بصوت ضعيف : آسف، لم أقصد إيقاظك .

نهضت سارة بسرعة وجلست بجانبه، عينيها مليئتين بالقلق والمحبة .

- الحمد لله أنك بخير. قلقت عليك جدًا .

- أنا بخير، لا داعي للقلق .

- عمر : هل كنتِ هنا طوال الليل ؟

- سارة : نعم، لم أستطع تركك وحدك .

مسك عمر يد سارة وقبلها مبتسماً، فبادلته الابتسامة وسألته عن شعوره .

- أخذ عمر بعض الرشفات من الماء ثم قال مبتسمًا : كأنني تعرضت لطعنة بسكين في كتفي .

- يا إلهى أنت فقط ستزعجني. سأحضر لك الدكتور .

قبل أن تخرج سارة لجلب الدكتور، طلب عمر منها إحضار هاتفه ليطمئن على الأوضاع وما فاته خلال نومه. عندما أخذ الهاتف، لاحظ أن الساعة تشير إلى الثانية عشر ظهرًا وكان هناك عدد من المكالمات الفائتة والرسائل غير المقروءة، منها رسالة من الضابط جلال تفيد بأن عزاء المحافظ ياسر سيبدأ في السابعة مساءً في قاعة الشرطة .

- بينما كان عمر يحاول استيعاب ما حدث والتخطيط لما هو قادم، دخل والده اللواء سعد الغرفة قائلاً : الضربة التي لا تقتلك تقويك .

- عمر بتهكم : لا أعرف ماذا كنت لأفعل من دون هذه الحكم .

- اقترب اللواء سعد من سرير عمر وعانقه برفق، معبرًا عن فخره وسعادته بسلامة ابنه .

- حمد الله على السلامة، يا بطل .

- لست متأكدًا من بطل، لكن الله يسلمك .

جلس اللواء سعد بجوار عمر، محاولًا دعمه ورفع معنوياته بتذكيره بإنجازاته .

- بالطبع أنت بطل. تخاطر بحياتك وتفعل كل ما في وسعك. النتائج أحيانًا لا تكن كما نتوقع، لكننا نعلم ذلك منذ بداية عملنا. لقد حللت قضايا لم يكن أحد يتوقع أن تُحل، وفعلت كل ما عليك وأكثر .

في تلك الأثناء، دخلت سارة مع الدكتور الذي كان يحمل أوراق الفحوصات والتقارير الطبية لعمر. بدأ الدكتور بفحصه، مطمئنًا على سلامة الجرح، ثم قدم تقريره الذي طمأن الجميع على حالة عمر الصحية، موضحًا الخطوات التى يجب اتباعها للتعافي .

- أحب أن أطمئنك أن الجرح لم يؤثر على أي مناطق حيوية. الإغماء حدث بسبب فقدان الدم ، لكن لا توجد مضاعفات. ستحتاج إلى بعض الراحة

وتجنب أي مجهود على كتفك. مع الأدوية التي سأكتبها لك، ستتعافى في أسبوعين أو ثلاثة. سأكتب لك مضادًا حيويًا ومسكنًا للألم. الأفضل أن ترتاح في البيت حتى تتعافى تمامًا، لكن إذا قررت الخروج، فممنوع أن تقود سيارتك لأن الأدوية قوية بعض الشيء .

- ومتى يمكنني الخروج من هنا ؟

- يمكنك الخروج الآن إذا أردت، فلا يوجد شيء آخر يجب القيام به. الفترة القادمة تحتاج فقط للراحة والعلاج .

- شكرًا يا دكتور.

بعد مغادرة الدكتور، بدأت سارة في تجهيز أغراض عمر. ارتدى ملابسه بحذر لتجنب أي مضاعفات على كتفه المصاب، وخرجوا من المستشفى .

- اللواء : الحمد لله أنك بخير. سأتركك تستريح اليوم، لكن ابقَى تعالَ في زيارة لي قريبًا. لا يصح أن تدع والدك الكبير في السن هو من يأتى لزيارتك كل مرة .

- حسنًا، سأزورك غدًا لنتناول الغداء معًا. سارة ستكون في العمل، وأنا لا أريد أن أكون وحدي في هذه الفترة .

- تعال، وسأدعوك إلى مطعم جديد حيث ستتناول أفضل أكل فى حياتك .

- ودعهم اللواء سعد، ثم توجه كل منهم إلى سيارته .

- سارة : سنذهب إلى الصيدلية لجلب العلاج ثم سأوصلك إلى المنزل وأذهب للعمل .

- عمر : سنذهب إلى الصيدلية لجلب العلاج ثم ستوصلينى إلى قسم الشرطة، وتذهبين للعمل .

- سارة بغضب : ماذا كان يقول لك الدكتور من دقائق ؟

- لن أبذل مجهودًا، سأكتفي بالجلوس في المكتب لمراجعة القضية ومعرفة آخر الأخبار، ثم سأذهب لعزاء المحافظ في المساء.

كان قلق سارة كبيرًا بشأن رغبة عمر في العودة إلى العمل بعد إصابته. حاولت فهم سبب إصراره على الذهاب إلى قسم الشرطة رغم انتهاء المواجهة مع القاتل .

- أليس القاتل قد مات وانتهت التحقيقات؟ ماذا يمكن أن تفعل بعد ذلك؟ يمكن لأي شخص استكمال الباقي .

- التحقيقات لم تنتهِ بعد. لا يزال لدينا الكثير مما نريد معرفته .

- مثل ماذا ؟

- أسباب القتل، إذا كان هناك شركاء للقاتل، وإن كان هناك شركاء كيف ستستمر جرائم القتل، وغير ذلك من الأمور التي يجب اكتشافها في أسرع وقت .

- حسنًا، لكن إذا شعرت بالتعب ستتصل بي وتدع أحدًا غيرك يكمل العمل .

- طبعًا، لا داعي للقلق .

توقفوا عند صيدلية، حيث أحضرت سارة العلاج الذي وصفه الدكتور لعمر. بعد تناوله للأدوية، واصلوا طريقهم إلى قسم الشرطة .

****

عندما دخل عمر قسم الشرطة، توجه مباشرة إلى مكتب جلال للحديث معه .

- جلال : ظننت أنك ستأخذ قسطًا من الراحة من العمل .

- سأستريح بعد الانتهاء من القضية. هل تعرف كيف حال حسين الآن ؟

- عندما غادرناه أمس، كان يحاول ضبط نفسه من أجل أخته، لكن الوضع صعب جدًا عليه .

- أنا واثق أنه هيقدر يستجمع قوته من تانى سيحتاج فقط لبعض الوقت. ماذا عن القاتل من هو فى النهاية ؟

- القاتل هو علاء سمير المهدي .

- ابن الضحية الثانية !

- نعم، لكنه ليس ابنه فعليًا .

- ماذا تقصد ؟

- كان ابناً بالتبني .

- لا يزال يُعتبر ابنه. ما الذي قد يدفعه لفعل ذلك ؟

- تحقيقاتنا لم تكشف عن أي شيء بعد. فقد كان طالباً متفوقاً، ولم يكن هناك أي مشاكل مع والده أو أي شخص آخر. ليس لديه تاريخ من الاضطرابات النفسية أو العنف. باختصار، لا يوجد أي سبب يظهر لماذا قام بذلك. نتحقق الآن من أجهزته وحساباته الإلكترونية لنرى إذا كنا سنكتشف أي شيء .

- هل استفسرت عن طفولته في الملجأ الذي تم تبنيه منه؟ قد تكون هناك أسباب تتعلق بماضيه .

- الملجأ يمثل لغزًا كبيرًا. لقد وجدنا موقعه لكن تبين أنه تم هدمه منذ فترة وأُقيمت مكانه مدرسة. وعندما حاولنا العثور على الموظفين السابقين هناك، لم نتمكن من الوصول إلى أي أسماء، علي الأرجح لأن الأسماء التي سجلت كانت مزيفة .

شعر عمر أن الملجأ يحتفظ بالكثير من الأسرار، لكن يبدو أن جميع تلك الحقائق قد طُمست ويبقى طريقهم الوحيد للمعلومات هو صلاح .

- عمر : كان علاء يدرس في جامعة بعيدة تستغرق ساعة ونصف للوصول إليها. وعندما سألنا زميله في السكن، أخبرنا أنهم يناموا في الساعة العاشرة، وأن علاء كان نائمًا ليلة الجريمة. وبما أن الجريمة حدثت بين الساعة ١٢ و١ ، فلابد أن لديه شريكًا أوصله بالسيارة يوم الجريمة، لأنه من المستحيل أن تتوفر وسائل النقل في تلك الساعة ليلاً، بالإضافة إلى أن علاء ليس لديه سيارة .

- هذا منطقي، سنتحقق من كل معارفه لنرى إلى ماذا سنصل، لكن الأمر سيتطلب بعض الوقت .

- وماذا سنفعل الان ؟

- إذا حدثت جريمة قتل مشابهة اليوم، فذلك يعني أنه لديه شريك . وإذا لم تحدث، فلا داعي للقلق .

- هل سننتظر حتى تحدث جريمة أخرى! نحن هنا لمنع الجرائم قبل وقوعها، وليس لنتحلى بالصبر، بالأضافة قد يكون شريكه مجرد مخطط ولا ينفذ بنفسه أي شيء .

- إذا كان مخططًا، فهذا يعني أنه لن تحدث جرائم أخرى قريبًا، مما سيوفر لنا الوقت للقبض عليه وإن حدثت، ستكون فرصة القبض عليه أكبر، لأنه رغم ذكائه إلا أنه ليس معتادًا على التنفيذ بنفسه وقد يرتكب خطأ. في النهاية، وقتنا قصير جدًا للقيام بأي شيء .

قرر عمر أن يترك جلال ويعود للتحقيق مع الفراش صلاح مرة أخرى، معتقدًا أنه قد يكون لديه مزيد من المعلومات حول ماضي الملجأ والجرائم المرتبطة به .

****

عندما دخل عمر غرفة صلاح، وجد صلاح وحيدًا بالداخل .

- إزيك يا صلاح، أنا الضابط عمر .

- خير يا باشا، رد صلاح بتوتر .

- أين الحجة ؟

- رجعت البيت لأحضار بعض الأغراض .

- ربنا يديها الصحة. سمعت عن أن المحافظ ياسر توفي أمس ؟

الصمت يسود الغرفة، وصلاح لا يعرف كيف يرد .

- القاتل اغتال المحافظ بعد مغادرتنا من عندك البارحة، وطاردناه حتى نشبت مناوشات بيننا، وتم قُتل القاتل أيضًا بعد ذلك .

ظهر على وجه صلاح ارتياح طفيف عند سماعه هذا الخبر .

- لكن لا تزال هناك تفاصيل غامضة في القضية، وأحتاج أن أسألك بعض الأسئلة .

عاد القلق ليظهر على ملامح صلاح .

- قلت لي أسماء الذين يعملون معك في التجربة، لكن بما أن التجربة كانت تحت الملجأ، فلا بد أن هناك آخرين كانوا يعملون هناك فى الملجأ نفسه، هل تعرف أحدًا منهم ؟

- ورديتي كانت ليلاً، وهؤلاء فقط من قابلتهم، وقد نبهوني أن أكون في موعدي وألا ألتقي بأي أحد من الآخرين .

- يعني لم ترَ أحدًا آخر ؟

- لا .

شعر عمر أن صلاح يخفي شيئًا .

- صلاح، العمل هناك يبدو أنه كان ملىء بالشبهات، لماذا قبلت به ؟

- المرتب كان جيدًا، ونادرًا ما يحصل عامل على راتب جيد، لذلك وافقت .

- تردد عمر قليلًا ثم نظر إلى صلاح قائلاً : لماذا أشعر أنك تكذب علي ؟

- يتقطع لسانى قبل ما اكذب عليك يا باشا، أنا قلت كل حاجة .

في هذه الأثناء، دخلت والدة صلاح إلى الغرفة واندهشت لوجود عمر .

- خير، كنت أظن أنكم سألتوا صلاح عن كل شيء أمس .

- هذه أسئلة بسيطة ستساعدنا

- تقاطعه : هل ستساعدكم في القبض على من فعل ذلك بصلاح ؟

- من فعل ذلك بصلاح توفي أمس .

- الحمد لله، أذن ماذا تريدون من صلاح الان ؟

- لا شئ سأرحل الان .

- التفت عمر إلى صلاح وسأله : سؤال أخير يا صلاح، أين كانت تجري التجارب بالضبط ؟

- كانت هناك غرفة كبيرة تحت الملجأ، لكنهم أخفوا كل شيء بعد انتهاء المشروع والملجأ أصبح مدرسة الآن .

- حسناً، فهمت. شكرًا لك يا صلاح، وألف سلامة عليك .

- الله يسلمك يا باشا .

بعد انتهاء المحادثة مع صلاح، توجه عمر إلى المدرسة التي بنيت مكان الملجأ، آملاً أن يجد أي أدلة أو خيوط تساعد في كشف حقيقة ما حدث في الماضي .

****

سلم عمر على مديرة المدرسة وقدّم نفسه موضحاً أنه يعمل على قضية تتعلق بالمدرسة. ردت المديرة بهدوء : تفضل. سألها إذا كانت موجودة منذ افتتاح المدرسة، فأجابت بأنها تعمل هنا منذ ست سنوات فقط. عقب ذلك، طلب القيام بجولة في المدرسة للبحث عن أي آثار تتعلق بالمكان الذي كان يُستخدم للتجارب. وافقت المديرة ولكنها استفسرت عن السبب، فأخبرها أن القضية ترتبط بالملجأ الذي كان موجودًا قبل بناء المدرسة لكنه لا يستطيع الإدلاء بمزيد من التفاصيل. تفهمت المديرة وبدأت الجولة .

انطلقت الجولة من الطابق الأرضي، حيث حاول عمر التفتيش في جميع الغرف بحثًا عن أي أدلة. تتكون المدرسة من ثلاثة طوابق، الأول يحتوي على معامل ومكتبة وغرف للمعلمين ومكتب المديرة. تفقد عمر كل غرفة بحثًا عن أي أثر لمكان التجارب، لكنه لم يجد شيئًا. بعد انتهاء الجولة، استفسر عمر عن أي مخزن أو قبو تحت الأرض، ولكن المديرة نفت وجود ذلك. شكرها عمر على المعلومات ثم عاد إلى قسم الشرطة .

****

عندما عاد عمر إلى قسم الشرطة، تم إبلاغه بأن العميد عماد يرغب في لقائه. توجه إلى المكتب وهو يعي تمامًا أن هناك مشكلة كبيرة. دخل عمر إلى المكتب، وأدى التحية العسكرية، ثم جلس كما طلب منه العميد، محاولاً الاستعداد لمحادثة قد تكون صعبة .

- العميد عماد : ألف سلامة عليك .

- رد عمر : الله يسلمك يا فندم .

- تابع العميد : كان يجب عليك أن ترتاح في المنزل اليوم .

- لا يوجد وقت يا فندم، ويجب أن أعود للعمل على القضية .

- هذا هو ما أريدك فيه .

- خير يا فندم ؟

- القضية تم تسليمها للضابط جلال، وهو وفريقه سيكملون العمل عليها .

- اعترض عمر : مع احترامي لجلال، سيكون من الأفضل أن تبقى القضية معي، حيث أنني أعمل عليها منذ اليوم الأول ولدي معرفة أكبر بها، مما يزيد من فرص حلها، وجلال يستطيع أن يساعدنى فقط بدلاً من حسين .

- العميد بصرامه : هناك محافظ ميت، وكان والد زميلك في القضية، وأنت مصاب، والقاتل كان على وشك قتلك. لذا أنت غير جاهز ذهنيًا أو جسديًا للتعامل مع القضية. جلال قد حصل على جميع تقارير القضية وبدأ بالفعل في العمل عليها، وهذا قرار نهائي. لقد مضى وقت منذ أن أخذت إجازة وتحتاج لبعض الراحة. خذ إجازة لمدة أسبوعين لتتعافى، وبعد ذلك يمكنك العودة إلى العمل .

جلس عمر محبطًا لبعض الوقت، فقد كان يعلم عن احتمالية تنحيته عن القضية، لكن لم يرغب في التخلي عنها. بقى جالسًا فى مكانه لا يعرف بماذا يرد، وفي النهاية أمره العميد بالمغادرة. خرج عمر وهو مثقل بالهموم، وذهب إلى مكتب جلال ليتمنى له التوفيق ويرى ما إذا كان بحاجة إلى أي مساعدة. شكر جلال عمر وطمأنه بأنه سيبلغه بأي مستجدات في القضية. تبادلا التحية، ثم غادر القسم متوجهًا إلى منزله، شعر عمر بالضيق ولكنه في الوقت نفسه كان يدرك أن القرار قد اتخذ وعليه الآن التعافي فقط .

****

حاول عمر التكيف مع وضعه الجديد، لكنه سرعان ما شعر بالملل. بعد أن قضى فترة في مشاهدة التلفاز وتناول الطعام، أدرك أن قضاء الوقت في المنزل ليس من طبعه. فقد كان دائم الانشغال بالعمل ، وكان وقت الراحة يبدو له شاقاً أكثر من العمل. بحلول السادسة والنصف مساءً، قرر الخروج

من المنزل والتوجه إلى مقهى لبضع الوقت، على أمل أن يملأ فراغه ويشغل تفكيره بعيداً عن القضية التي تشغله. بعد ذلك، قرر الذهاب إلى العزاء.

كانت أجواء العزاء رسمية ومُهيبة، حاضراً فيه العديد من الشخصيات المهمة في المجتمع، بما في ذلك شخصيات بارزة من الحكومة وبعض مشاهير السينما وكرة القدم لسبب ما. عند دخوله، شعر عمر بأهمية المناسبة، حيث كان الجميع يرتدون البدل السوداء وتعكس الوجوه الحزن والاحترام للفقيد. لم يكن العزاء مجرد مكان للحزن، بل كان فرصة للتواصل بين الشخصيات المهمة فى البلد. مرت أمامه العديد من الوجوه المعروفة، لكنه كان يركز على تقديم العزاء لعائلة المحافظ. لم يكن متأكداً كيف سيتقبل حسين وأخته مريم تعازيه، لكنه علم أن حضوره واجب لدعمهما في هذا الوقت العصيب .

عندما اقترب من حسين، كان حسين في حالة انهيار بالكاد يستطيع إدراك من حوله. بعد تقديم تعازيه له، انتقل لتقديم العزاء لباقي أفراد العائلة. كانت الأجواء ثقيلة، والحزن يغلف المكان. بينما كان ينظر حوله، لمح عمر كرسيًا فارغًا بجوار جلال فجلس عليه. جلسا في صمت لبرهة، حيث عبر الصمت عن حزنهما المشترك. بعد لحظات، بدأ عمر الحديث بصوت منخفض .

- الوضع صعب على حسين، ويبدو أنه بالكاد يتماسك .

- لا أحد توقع ما حدث. خسارة كبيرة له وللبلد .

- بالفعل .

سكت عمر قليلاً قبل أن يستأنف الحديث .

- هل هناك أي تحديثات حول القضية ؟

- استجوبنا كل معارف القاتل وعينت مراقبة عليهم، لكن لا أظن أي منهم كان شريكه أو يعرف إذا كان عنده شركاء .

- ماذا عن هاتفه ؟

- وجدنا صور للضحايا. كان يراقبهم لفترة طويلة. لكن غير معروف إذا كان لديه شريك أو لأ، الصور كانت للضحايا وكلهم موتى عدا صلاح .

- لو فيه رقم كان بيتصل بيه أو رسائل، ممكن يكون شريك له .

- لا يوجد شيء خارج عن المألوف. إذا كان لديه شريك، فمن المؤكد أنه كان يتواصل معه بطريقة أخرى .

- إذا كان لديه شريك، أظن أنه ذكي جدًا لدرجة أنه أمن نفسه حتى فى حاله القاتل اتقبض عليه .

- كلهم في النهاية بيقعوا، مشكلتنا كانت مع الوقت وإذا لم يكن هناك شيء اليوم، فلن تكون هناك مشكلة .

مع نهاية الحديث، تمنى عمر التوفيق لجلال، واستمروا في الجلوس قليلاً حتى قرر جلال الرحيل. بعد أن جلس عمر لبعض الوقت، هم بالانصراف هو الأخر. في طريقه للخروج، قدم تعازيه مرة أخرى لعائلة المحافظ وأصدقائه محاولًا إظهار الدعم في هذا الوقت الصعب وعندما وصل لنهاية الصف لتقديم العزاء لحسين، لاحظ أن حسين لم يكن موجودًا في مكانه. نظر حوله ليجد حسين واقفًا بعيدًا مع أصدقائه، بدا وكأنه معزول عن الموقف. اقترب منهم وسلم عليهم. ثم وقف أمام حسين لبضع لحظات، وقال بهدوء : البقاء لله يا حسين، أنا عارف صعوبة الموق...

- قاطعه حسين بغضب : عارف صعوبة إيه؟ وهتعرف منين؟ والدي هو من توفي، وليس والدك! كيف يمكنك أن تعرف ؟

تدخل الأصدقاء بسرعة لتهدئة حسين، إذ كانوا يدركوا حجم الألم الذي يشعر به. قدموا اعتذاراتهم لعمر نيابة عنه. فهم عمر جيدًا حالة حسين ولم يأخذ الأمر بشكل شخصي. كان يعلم أنه يمر بفترة عصيبة، حيث تجمعت مسؤوليته في القضية مع الفاجعة الشخصية التي يواجهها. بلا حاجة للكلمات، وضع عمر يده على كتف حسين ليعبر عن دعمه وتفهمه. ثم غادر المكان

بصمت، تاركًا حسين مع من هم أقرب إليه في تلك اللحظة. في طريقه إلى المنزل، فكر عمر في كل ما حصل، وأدرك أنه على الرغم من كل جهوده، فإن النتيجة كانت مؤلمة للغاية لحسين، وشعر بالذنب لعدم قدرته على حل القضية وإنقاذ والد زميله .

****

عاد عمر إلى المنزل، وما إن غيّر ملابسه حتى وجد سارة تفتح الباب .

- سارة : من الجيد أنك عدت مبكرًا، كنت أظن أنني سأعود ولن أجدك .

- لقد عدت للتو .

- حسنًا، بالتأكيد تشعر بالجوع، انتظر قليلاً حتى أغير ملابسي وأعد العشاء.

- غيري أنتِ، وأنا سأحضره .

- لا، سأقوم أنا بذلك، اترك الأمور لي، أنا أضطر لتناول الطعام الذي تحضره على أى حال ، سأعمل على تحضير شيء أفضل.

ابتسم عمر ابتسامة متكلفة لم تدارى الحزن الظاهر عليه وجلس بهدوء على الطاولة، ينتظر سارة بينما كانت تُعد العشاء .

- سارة : لماذا تبدو هادئاً اليوم ؟

- عمر بحزن : أفكر في العمل... لا أستطيع تخيل شعور حسين بعد موت والده، خاصةً في نهاية القضية التي نعمل عليها دون تحقيق نتيجة .

- وضعت سارة يدها على يد عمر برقة، محاولة تخفيف العبء الذي يحمله. ثم قالت : لقد بذلتم قصارى جهدكم، وحياتك كانت على المحك أثناء قيامك بذلك. عليك أن تدرك أن ليس كل شيء تحت سيطرتك. مثلما قدرت على حل العديد من القضايا، هناك بعض القضايا التي لن تعجبك نتائجها، لكن في النهاية، لم تدخر لحظة جهد واحدة لحلها .

- أحيانًا أشعر لو فعلت شيئًا مختلفًا، لكان الأمر أفضل .

- حتى لو قمت بشيء مختلف فلا يوجد ضمان أن النتيجة ستتغير .

- عمر بصوت متأثر : لم ترِ نظرة حسين لي... كأنني من قتلت والده .

- حسين مثل ما يلومك، أنا متأكدة أنه يلوم نفسه أكثر منك. أحيانًا يكون من الأسهل أن نلقي اللوم على أنفسنا بدلاً من الشخص الذي تسبب بالفعل في الأذى وفي هذه الحالة، هو القاتل فقط .

- الأمر أسهل عندما تكونين خارج الموقف .

- أنا لا أقول إن مشاعرك ستتحسن فورًا بمجرد أن أقول ذلك . لكن فكر في كلامي ومع مرور الوقت ستكتشف ما إذا كان من الأفضل أن تستمر في لوم نفسك أو أن تدرك أن ليس كل ما يحدث في حياتنا يكون بسببنا. هناك عوامل كثيرة خارجة عن سيطرتنا .

تناولوا العشاء سويًا ثم جلست سارة لتقرأ، محاولة أن تضفي بعض الهدوء على نهاية اليوم. حاول عمر هو الآخر أن يقرأ، لكنه وجد صعوبة في التركيز بسبب الأدوية التي تناولها لتخفيف الألم .

حلم

عاد عمر إلى أول يوم له في المدرسة، كانت تلك اللحظة مليئة بمشاعر مختلطة من الفرح والخوف والمحبة. سار بين والديه، ممسكًا بأيديهما بإحكام يشعر بالأمان والراحة. عند وصولهم إلى المدرسة، توقفوا للحظة أمام البوابة. انحنت والدته لتعانقه، وكانت عيناها مملوءتان بالدموع، ونصحته بأن يستمع إلى كلمات الأساتذة، وأكّدت له أنها ستعود لتأخذه عند انتهاء اليوم الدراسي. عانقته مرة أخرى وكأنها لا تريد أن تتركه. أما والده، فكان أكثر هدوءًا وبلطف أقنعها بأن تتركه يذهب. عندما بدأ يدخل المدرسة، أدار رأسه ليرى والديه يشيران إليه ويبتسمان. بدوره، شاور لهما. ظل يراقبهما حتى اختفوا عن ناظره، فوجد نفسه وحيدًا في ساحة المدرسة الجديدة، حيث كان عليه أن يكتشف العالم بمفرده .

حفلة

٢٠٢٥/١/٦

استيقظ عمر ونظر إلى المنبه، ففوجئ بأنه قد نام لفترة أطول مما اعتاد عليه. بتنهيده خفيفة، محدثًا نفسه : أصبحت أنام أكثر مما أستيقظ هذة الأيام. غسل وجهه وخرج ليجد سارة في المطبخ .

- مداعبًا زوجته : طبعًا أكلتى من غيرى .

- فضلت أنك ترتاح. على أى حال الأكل جاهز، يحتاج التسخين فقط .

بعد تناوله وجبة خفيفة، شاهد فيلم مع سارة قبل أن تغادر إلى عملها. كانت الأجواء هادئة ومليئة بالسكينة، بعيدة عن ضغوط العمل. بعد مغادرة سارة، جلس عمر في الشرفة محاطًا بالهواء النقي وصوت الطبيعة. أخذ كتابًا أوصته به سارة، وانغمس في قراءة صفحاته لمدة ساعة مستمتعًا بالهدوء الذي كان في أمس الحاجة إليه. بعد ذلك، تذكر وعده لوالده بالاجتماع على الغداء، فاستعد للذهاب إلى منزله .

****

عندما وصل عمر إلى منزل والده، استقبله الأب بحضن دافئ. كان اللقاء مليئًا بالمشاعر، حيث تذكر عمر أنه ليس وحده، وأنه دائمًا يمكنه الاعتماد على والده. بعد حديث قصير، توجها إلى المطعم. هناك بدأ والده يتحدث عن الطعام وكأنه الطباخ الرئيسي موضحًا لعمر أفضل الأطباق المتوفرة. لم تمر فترة طويلة حتى وصل الطعام. تحدث والده عن أحواله مع سارة وعمله، حيث اشتكى عمر من أحدث قضاياه وعلاقته المتوترة مع حسين. نصحه والده بترك حسين لبعض الوقت مشيرًا إلى أنه يمر بظروف صعبة وسيتفهم مع الوقت من المتسبب في وفاة والده. ثم انتقل الحديث إلى نصائح الحياة الزوجية، حيث لم يبخل على عمر بحكمته المعتادة .

غير عمر مسار الحديث وسأله عن روايته التي كان يعمل عليها، ليخبره أنها شبه مكتملة إلا بعض التفاصيل التي يحتاج لمراجعتها. طلب عمر قراءة الرواية، وعلى الرغم من تردد والده في البداية، إلا أنه اقتنع بعد إصرار ابنه على أن قراءة شخص آخر قد تساعده في إنجاز التفاصيل الأخيرة. عادا إلى المنزل حيث جلسا معًا وبدأ عمر في قراءة الرواية. مرت أربع ساعات بسرعة ، حيث غمره عالم والده الأدبي واستمتع بكل كلمة. غير أن الصمت انقطع فجأة بصوت هاتف عمر، كانت سارة تتصل .

- سارة : أنت رجعت البيت ولا لسه ؟

- عمر : لا، أنا لسه عند بابا، حوالى ساعة وارجع محتاجة حاجة ؟

- لأ أنا كنت عايزة أعرف أخذت الدواء معاك ولا نسيت ؟

- أخذته، لا تقلقى. إنتِ انتهيتِ من الشغل ؟

- فاضل حالتين .

- لما تخلصي، ابقى اتصلي عليا عشان أجهز العشاء بمجرد ما توصلي .

- سأقوم بالاتصال بك بمجرد أن أركب السيارة. سلام .

بعد المكالمة، أنهى عمر قراءة رواية والده في النصف ساعة التالية، وكان منبهرًا بما قرأ. عبّر عن رأيه بأنها من أفضل الروايات التي قرأها مشيدًا بجودة الحبكة والشخصيات، ولكنه اقترح أن أسلوب السرد من وجهة نظر الشخصية الرئيسية قد يعزز التأثير. رحب والده برأيه وأكد أنه كان يفكر بالفعل في تجربة أسلوب سرد جديد. بعد تبادل الآراء حول الرواية، استأذن عمر للعودة إلى منزله، مثنيًا على الوقت الذي قضاه معه.

عاد عمر إلى منزله في التاسعة مساءً وهو يشعر بالراحة بعد يومه الطويل مع والده ومتحمسًا لتحضير العشاء لسارة بعد يومها في العمل .

****

عندما دخل عمر المنزل، سمع موسيقى هادئة تتراقص في الأجواء. استقبلته سارة بابتسامتها المعهودة وعانقته بحب، وهمست له بفرحة : اليوم ذكرى زواجنا العاشرة، كل عام وأنت بخير. في تلك اللحظة، انتابته مشاعر الصدمة والارتباك. كيف استطاع أن ينسى حدثًا بهذه الأهمية؟ كانت مشاغل الحياة وضغوطها قد استحوذت على تفكيره، حتى إنه لم يتذكر ذكرى زواجهما.

اعتذر لها لكن قاطعته سارة

- لا تقلق، أنا مُدركة بأن لديك الكثير من ما يشغل بالك. المهم أننا معًا اليوم .

- كان من المفترض أن أكون أنا من يقوم بهذا .

- هل يجب عليك كونك الرجل أن تتولى كل المبادرات ؟

- طبعًا .

- يجب عليك أن تتخلى عن هذة الطريقة في التفكير، وتتخلى عن كلمة طبعًا أيضًا .

- عمر مبتسمًا : طبعًا .

احتضنته سارة برفق، ونظرت إلى عينيه بابتسامتها الجميلة وقالت : لا يهم، أنا وأنت واحد. وأنت مرهق اليوم، لذا لن أتركك تفعل أي شيء، خاصة أنك دائمًا من يبادر .

بعد ذلك، أخذت بيده بلطف وقادته إلى مائدة الطعام، حيث أعدت له مكانًا للجلوس .

- عمر مازحًا : أشعر كأن الأدوار قد انقلبت .

- أنت مشغول بمعرفة من يفعل ماذا، بدلاً من الاستمتاع بهذة اللحظة .

جلس عمر على الكرسي، مستعدًا للاستمتاع بالعشاء الذي أعدته سارة. في أجواء دافئة مع الموسيقى الهادئة، بدأت أغنية جديدة تعزف في الخلفية، مما أعادت له ذكريات جميلة وحنين إلى الماضى .

- سارة : تتذكر هذة الأغنية ؟

عمر لم يحتج للتفكير طويلاً وقام بسرعة، مد يده لسارة لتمسك بيده ، سحبها نحوه، وبدأا يتراقصان بهدوء على نغمات الموسيقى .

- طبعًا فاكرها. Love between two hearts الأغنية اللي اشتغلت في لحظة مقابلة أجمل بنت في العالم. كنت جالس في كافيه بشرب قهوة بعد يوم عمل طويل مضايق من كل شيء، والكافيه كان زحمة والكرسي الوحيد الفاضي كان جنبى. طلبت تقعدي عليه، ومن هنا بدأنا نتكلم عن الأغنية ونتنقل بين المواضيع، ليتحول هذا اليوم لأحلى يوم في عمري .

- سارة تضحك وتسترجع تلك الذكرى : إذا كنت أتذكر جيداً، فإن أول كلمة قلتها لي كانت "طبعًا"، بعدما سألتك إذا كان بإمكاني الجلوس .

- عمر مبتسم : طبعًا جزء من شخصيتي .

- اقترب منها وقبلها، ثم نظر في عينيها بينما يداعب شعرها وهو يقول : عشر سنين، وكل سنة بتحلوي أكثر، وكل سنة حبي ليك بيزيد أكثر .

- سارة، وهي تمسك بيده وتلمع السعادة في عينيها، أضافت بابتسامة : وهيزيد أكثر كمان لما تعرف إني قررت أجهز الاحتفال بنفسي، لسبب أخر غير مناسبة ذكرى جوازنا .

عمر، مندهش وسعيد ينظر إليها بفضول منتظرها أن تكمل .

- سارة بنبرة هادئة : عشان حبيت أحتفل بإننا هنبقى تلاتة .

انحبست الكلمات في حلق عمر من شدة الفرح في تلك اللحظة، تابعت سارة، ودموع الفرح في عينيها، قائلة : رحت للصيدلية... لكنه قاطعها بحضن عميق بينما دموعه تملأ عينيه : أنا مش مصدق نفسى! احنا كنا فقدنا الأمل! يحتضنها مجددًا، بحماس وحب، حتى شعرت وكأن قدميها لا تلامسان الأرض بينما يدور بها حول نفسه، مفعمًا بسعادة لا تُوصف. بعد لحظات، وضعها برفق على الأرض، وبدأ يتحدث بينما لا زال في حالة اندهاش .

- لازم أكلم الدكتور حالاً... ناخد منه ميعاد .

- الوقت اتأخر، نبقى نكلمه بكرة .

- لا أفهم كيف ذلك... كنت أعتقد أنه لا توجد فرصة أخرى، جميع الأطباء أكدوا هذا..

- ربنا أراد ذلك .

- ونعم بالله .

ظلوا ينظروا الى بعض والدموع لا تزال في عينيهما، ثم وضع عمر يده على خصرها واقترب ليقبلها مرة أخرى، واذا بصوت مدوى قادمًا من النافذة يتبعها تهشم الزجاج إلى شظايا. حمل عمر سارة بين ذراعيه وانبطح بها على الأرض وأخبرها أن تبقى على الأرض. ثم زحف بحذر نحو النافذة، يتحسس إذا كان هناك أحد بالخارج. لكن الشارع كان فارغًا، ولا أثر لأي شخص .

- قال لسارة : لا يوجد أحد... هو هرب خلاص .

ولكنه عندما التفت لينظر إلى سارة وجدها ممددة على الأرض والدماء تغطي وجهها. رصاصة اخترقت رأسها وجسدها ملقى على الأرض، هرع نحوها، صارخًا باسمها، وحملها بين ذراعيه، نادى عليها مرارًا وتكرارًا دموعه تنهمر بلا توقف، ممتزجة بدمائها. بقى يصرخ بأسمها مرارًا وتكرارًا : سارة... ردي عليا... سارة !

يحاول أن يهزها وأن يوقظها، لكن في أعماق قلبه كان يعلم أنها لم تعد هنا بعد الان وذلك الحلم الجميل تحول في لحظة إلى كابوس .

الفصل الثالث

عندما وصل فريق الطب الشرعي، حاول الدكتور التحدث إلى عمر بكلمات لتهدئته لكن عمر الذي كان مغطى بدماء زوجته، ظل جالسًا بلا حراك غير آبه بما يقوله الدكتور. كان عقله محصورًا في دوامة من الصدمة والألم، عاجزًا عن استيعاب ما جرى. بعد قليل، وصل الضابط جلال محاولاً تخفيف معاناة عمر ببعض الكلمات المشجعة، لكن تلك الكلمات لم يكن لها وقع. حاول جلال بأسلوبه الرسمي أخذ شهادة عمر، لكن الرد الوحيد الذى حصل عليه كان الصمت. أدرك جلال أنه ليس بإمكانه الحصول على أي شيء من عمر في تلك اللحظة، فقرر تأجيل الأمر.

بعد فترة قصيرة، وصل والد عمر ولم ينطق بكلمة بل احتضن ابنه بقوة. ظل عمر جامدًا للحظة، ثم بدأ يضع يده على والده وبادله العناق، بينما تتساقط الدموع من عينيه. شعَر الوالد بأن عمر لم يعد قادرًا على الوقوف، فأجلسه على كرسي وجلس بجانبه لفترة حتى رأى جلال يلوح له من بعيد، توجه إليه لمحادثة قصيرة قبل أن يعود إلى ابنه ويجلس بجانبه مجددًا. بعد عشر دقائق، وضع اللواء يده بلطف على ركبتي عمر وقال بهدوء : يجب أن تستريح الآن. الأفضل أن تأتي لتجلس عندي اليوم وتتركهم يعملون. ثم أمسك بيد عمر وساعده على النهوض. استجاب عمر بهدوء وتوجه معه نحو السيارة .

بينما كان اللواء يقود، كان يراقب الطريق ويلقي نظرات سريعة على ابنه، الذي ظل مائلاً برأسه إلى الأسفل، غير مبالٍ بما حوله. تذكر اللواء شعوره بعد وفاة زوجته، عندما كان هو أيضًا يفضل الصمت. وصلوا إلى المنزل في منتصف الليل، حيث كان الشارع هادئًا. قاد اللواء سعد ابنه نحو السرير وقال له بهدوء : حاول تنام شوية، وأنا هتم بتجهيزات العزاء .

- لكن عندما بدأ والده بحديثه عن العزاء، قاطعه عمر بغضب : لا أريد إقامة عزاء. سارة لا تحب العزاء، لذلك لن نقيم عزاء .

- الوالد بصوت هادئ : حسنًا لن نقيم عزاء، فقط استرخي قليلاً واذهب إلى النوم .

ببطء أدار ظهره ودخل الغرفة. جلس على حافة السرير دون أن يخلع ملابسه وذهنه مشغول بالأفكار والألم. بينما كان والده يقف بالقرب من الباب، يراقب ابنه بحزن، ويريد أن يساعده لكنه يدرك أن الكلمات لن تخفف عن عمر هذه اللحظة. أغلق الباب برفق، تاركًا عمر ليواجه حزنه ووحدته .

نص حياة

٢٠٢٥/١/٧

ظل عمر مستيقظًا طوال الليل وسارة لا تفارق ذهنه لحظة واحدة. كانت الذكريات تتدفق أمامه كفيلم حزين، تذكر لحظات السعادة والحب التي جمعتهما، تلك اللحظات البسيطة التي كانت تثير ابتسامته دون أن يدري. لكن تلك الابتسامة سرعان ما كانت تتبدل إلى دموع، فالألم كان عميقًا وكانت الحقيقة القاسية تذكره بأنه لن يتمكن من عيش تلك اللحظات مرة أخرى، وكلما حاول إبعاد أفكاره تعود له من جديد. شعر بنفسه محاصرًا في دوامة من الألم والحنين لن يستطيع الخروج منها، كأن الوقت قد تجمد عند لحظة رحيل زوجته. استمر على هذه الحال حتى بزوغ الفجر، حيث بدأت عينيه تثقلان من الإرهاق وفي النهاية استسلم للنوم .

حلم

وجد عمر نفسه في مكان مليء بالضباب، محاطًا بمجموعة من الأطفال الذين يلعبون حوله. كان المكان يعج بأصوات الضحك والمرح، لكن الرؤية كانت ضبابية وكأن المكان يكتنفه سحاب كثيف. بينما كان يراقب الأطفال، رأى فجأة فتاة صغيرة تجري نحوه. كانت ملامحها غير واضحة بسبب الضباب، لكن قبل أن تصل إليه، بدأ الحلم يتلاشى .

عندما استيقظ عمر في الساعة الثالثة عصرًا، لم يكن مهتمًا كعادته بتفاصيل حلمه. لم يشعر بدافع لكتابته أو التفكير فيه. كان الحزن لا يزال يثقل قلبه ويطغى عليه. غادر غرفته ليجد والده جالسًا في الصالة، يبدو عليه القلق، لكنه حاول إخفاءه بابتسامة خفيفة عندما رأى عمر .

- والده بهدوء : صباح الخير .

رد عمر بصوت خافت وهو في طريقه إلى الحمام : صباح الخير. حاول بدء يومه بغسل وجهه، لكن عندما نظر إلى المرآة، غمرته المشاعر وبدأ بالبكاء بصمت، مختلطًا دموعه بالماء الذي يغتسل به. كان الألم عميقًا، يتجلى في كل حركة وفي كل نفس. رأى دماء سارة على ملابسه وقرر الاستحمام، آملاً أن يغسل الماء الدماء وآلامه سويًا. استمر واقفًا تحت الماء لمدة ربع ساعة، والماء يغسل دموعه بينما تزداد صور زوجته الراحلة وضوحًا في ذهنه. كل لحظة قضاها تحت الماء كانت مزيجًا من الألم والحنين والدموع، لكنه كان يعلم أن البكاء لن يغير شيئًا. وفجأة، سمع خبطات على باب الحمام، مما جعله يحاول استعادة توازنه .

- والده : أنا جهزت الأكل، وسأنتظرك لنأكل سويًا .

جمع عمر شتات نفسه وخرج من الحمام ليقابل والده، شكره بصوت منخفض، ثم تناول القليل من الطعام في صمت، قبل أن يبدأ والده في الحديث عن زوجته وضرورة المضي قدمًا في حياته، مؤكدًا أنها لم تكن لتريده أن يبقى في هذه الحالة. استمع عمر دون أن يرد بكلمة واحدة، شعر والده بالقلق من أن الإلحاح قد يعود بنتيجة عكسية، فتركه يكمل طعامه فى صمت .

- بعد الانتهاء من تناول الطعام، قال عمر لوالده : أنا محتاج ارجع البيت .

- رد الوالد : ما المشكلة فى البقاء معى ؟

- أجاب عمر : عايز أبقى لوحدي لفترة .

- لكن يا عمر... الوقت غير مناسب لتكون فيه وحدك . إذا كنت لا ترغب في البقاء في المنزل، هيا نخرج قليلاً .

- لكن عمر أصر: لا، أفضل أن أبقى وحيدًا. سأتحدث معك غدًا لأطمئنك علي .

ثم غادر عمر المنزل مسرعًا، دون انتظار رد والده .

****

خرج من البيت وسار على قدميه نحو المنزل، كانت سارة لا تفارق خياله طوال الطريق. لم يكن مهتمًا بما يدور حوله، حتى سمع صرخات الناس تنبهه احذر! فإذا بسيارة مسرعة تتجه نحوه، لكن لحسن حظه توقفت السيارة أمامه في اللحظة الأخيرة او من الأفضل قول سوء حظه حيث كان على بُعد لحظة من رؤية زوجته. أستقل سيارة أجرة لبقية الطريق. أعطى السائق العنوان، وظل صامتًا طوال الرحلة. عند دخوله إلى المنزل، اجتاحت رأسه عاصفة من الذكريات؛ فهنا تناقشوا معاً وهنا ضحكوا معاً وهنا تشاجروا معاً ثم تصالحوا معاً وتنهمر دموع الفرح والحزن مع كل ذكرى. هذه الذكريات التي كانت تسعده في السابق، أصبحت الآن عبئًا ثقيلاً على قلبه، تزيد من شعوره بالفقدان .

لم يستطع تحمل البقاء في المنزل أكثر من ذلك، فقد كان الألم أكبر من أن يتحمله وحده، وعلم أن محاولة الهروب من الذكريات ستكون مستحيلة إذا استمر في البقاء هنا. ذهب إلى قسم الشرطة بعد ذلك ليقدم شهادته عن الحادثة ويستعلم عن تفاصيل القضية .

خرج عمر متجهًا إلى قسم الشرطة بخطوات ثقيلة، وكأنه يحمل ثقلًا كبيرًا على كتفيه. عند وصوله إلى القسم، شعر بشيء من الراحة ؛ كأنه هرب من أشباح الماضي التي تطارده في المنزل .

بمجرد دخوله، لاحظ أن جميع الأعين عليه، البعض يعزونه والآخر يفضل الصمت. توجه مباشرة إلى مكتب جلال، حيث أراد أن يقدم شهادته حول ما حدث، لكنه كان يبحث أيضًا عن شيء آخر، ربما معلومات عن سير القضية أو شعور بأنه لا يزال قادرًا على فعل شيء في هذا العالم الذي أصبح يبدو خاليًا من المعنى. عندما وجد المكتب فارغًا، قرر الانتظار .

جلوسه في صمت لم يستمر طويلًا قبل أن يدخل العميد عماد المكتب. نهض عمر على الفور وقام بتحيته، رغم الثقل الذي يسيطر على قلبه. رد العميد التحية بهدوء وأشار إليه بالجلوس. جلس عمر مرة أخرى، غير متأكد مما ينتظره في هذا الحوار، وشعر أن العميد قد يكون هنا لسبب معين، ربما لمناقشة أمور متعلقة بالقضية أو حتى حالته النفسية .

- قال العميد بلهجة تجمع بين الحزم والتعاطف : أعرف أنك تمر بوقت صعب جدًا، وأتفهم تمامًا أنك لا تستطيع الجلوس مكتوف الأيدي في المنزل. لكن دعني أخبرك بشيء مهم. ما حدث صعب، وأنا أقدر ما تشعر به، لكن عليك أن تُعطي نفسك فرصة للراحة واستعادة قواك .

- رد عمر : أنا هنا فقط لأقدم شهادتي .

- العميد بتعجب : ألم تقدمها بالأمس !

- لا، كنت مرهقًا ولم أستطع التحدث، ففضلت الانتظار حتى أهدأ قليلاً .

- حسنًا، أنا متفهم للموقف، سأرسل شخصًا ما ليأخذ شهادتك .

- أفضل انتظار جلال، فهو المسؤول عن القضية .

- كما ترغب، سأرسل لك كوب عصير ليمون لتشربه حتى يأتي جلال .

- بعد ذلك انسحب العميد وجاء جلال بعد عشر دقائق ليصافح عمر قائلاً : البقاء لله يا عمر، شدة وتزول، أعتذر إذا تأخرت عليك .

دخل عمر في صلب الموضوع وسأل عن تفاصيل القضية وما وصلوا إليه .

- جلال : أطلق المجرم النار من مسافة ١٧ مترًا بين الأشجار التي تواجه المنزل. من آثار حذاءه استطعنا تقدير مقاسها ٤١ ، ومن خط سير الرصاصة، قدرنا أن طول المجرم حوالي ١٧٠ سم، ما يدل على تفضيله استخدام سلاح بعيد المدى لتجنب الاشتباك المباشر. الرصاصة التي أُطلقت كانت من عيار ٩ ملم وكما تعلم فهى الأكثر شيوعًا مما يعني أننا سنحتاج لوقت أطول لتحديد نوع السلاح، من المرجح أن يكون السلاح غير مرخص خصوصًا في ظل انتشار الأسلحة غير المرخصة في البلد مما يصعب ربط السلاح بالقاتل. حتى الآن، لا يمكننا تحديد ما إذا كان المجرم شريكًا لسفاح الأعضاء أم لا، نظرًا لاختلاف أسلوب التنفيذ، لكننا لا نستبعد هذا الاحتمال بسبب الاتصالات السابقة التي وردت لك وعلاقتك بالجريمة. قمنا أيضًا بمراجعة أسماء جميع مرضى الضحية، وتم استبعادهم جميعًا .

- بخيبة أمل : أذن لا توجد أي دلائل تقربنا من القاتل .

- شهادتك ستساعدنا كثيرًا في تضييق الاحتمالات، لذا سيكون من الأفضل أن نبدأ بأخذها الآن .

- طبعًا، أنا هنا لهذا السبب .

- جيد، دعنا نبدأ من البداية، من كان يعرف أنك أنت وزوجتك ستكونان في المنزل في ذلك الوقت ؟

- لم يكن هناك أحد سوى والدي، لكن سارة اتصلت بي قبلها، فلا أدري إذا كان أحد من ناحيتها على علم بذلك .

- كان هناك عشاء وزينة في البيت، من نظم هذا ؟

- سارة، كنا نحتفل بعيد زواجنا العاشر. سكت عمر لبضع ثوانٍ ثم أكمل، نسيته هذه المرة، لكنها هي التي تذكرت ورتبت لكل شيء .

- وماذا حدث بعد أن وصلت أنت وسارة إلى المنزل ؟

- لقد وصلت بعدها من عند والدي، فوجدتها قد حضرت الزينة والطعام، شغلنا الأغاني وبدأنا نتناول الطعام حتى انطلقت أغنيتنا المفضلة. قمنا بالرقص، ثم قالت لي إنها حامل. لم تمر دقيقة حتى سمعت صوت إطلاق نار. نزلت مع سارة على الأرض وانحنيت للنظر من النافذة لكن لم أجد أحد، عندما عدت إلى سارة وجدتها... يتعثر في متابعة وصف ما حدث فيقاطعه جلال .

- وأنت عائد إلى المنزل، هل رأيت أحداً يراقبك أو شيئاً من هذا القبيل ؟

- لا .

- رغم أن هذا احتمال بعيد، لكن هل تعرضت لتهديد من أحد قبل ذلك ؟

- هناك من يقومون بذلك ولكنها تكون عادة تهديدات فارغة من المعتقلين .

- عموماً، سنقوم بمراجعة جميع الأسماء الذين اعتقلتهم وتم إطلاق سراحهم خلال الشهرين الماضيين .

- حسنًا لكن أعتقد أن الموضوع له علاقة أكبر بسفاح الأعضاء، فركز على الربط بينهم .

- ينتهي من الشهادة ثم يسأل فى خيبة أمل : هل ستساعد هذه الشهادة في شيء ؟

- نعم، القاتل بالتأكيد عرف موعدكم من سارة، وأيضًا سارة هي من رتبت الاحتفال بعد إصابتك، لذا سنقوم بالتحقيق مع كل من تحدث مع سارة خلال اليومين الأخيرين حتى نصل إلى شيء ملموس .

لم يشعر عمر بالتفاؤل، حيث كان جلال يردد له نفس الكلمات التي كان يقولها لأقارب الضحايا عندما لا توجد أدلة كافية. غادر القسم وواصل إحساسه بخيبة الأمل والقلق متأملًا في كل ما قيل خلال استجوابه .

قضى عمر بقية يومه يتجول في الشوارع والمقاهي محاولاً الهروب من التفكير في الأحداث المروعة التي حصلت في منزله. كانت الذكريات تطارده بلا رحمة ولا يستطيع الفوز عليها أو ربما لا يريد الفوز عليها. كأنه سباق فى حلقة لا نهائية ودائمًا يعود إلى نقطة واحدة : من الذي عرف عن الاحتفال وعن حمل سارة ليقتلها في هذا الوقت بالتحديد ؟ كان هذا السؤال يتردد في ذهنه بلا توقف .

عندما قرر العودة إلى المنزل في وقت متأخر من الليل، لم يتوقع أن يجد أي جديد، لكن عند وصوله، رأى أمين شرطة ينتظره عند الباب. بدأ قلبه يخفق بسرعة، متسائلاً عما إذا كانت هناك أخبار جديدة. دون مقدمات قال له أمين الشرطة : اللواء سعد تعيش أنت .

استهداف

٢٠٢٥/١/٨

عندما دخل عمر إلى منزل والده، كان السكون يخيم على المكان بشكل ثقيل ومخيف، رغم تواجد الشرطة والطب الشرعي ربما هذا السكون فى عقله فقط. لحظة دخوله، لمح جلال يقف قرب الباب وكانت نظراته مفعمة بالحزن والأسف. تقدم جلال نحو عمر وقال بصوت منخفض : البقاء لله يا عمر. لكن عمر لم يكن مستعدًا لسماع هذه الكلمات. دون أن يجيب تجاوز جلال واتجه نحو جثة والده المغطاة. وقف أمامها في حالة من الثبات الانفعالي وكأن الصدمة الثانية لم تعد قادرة على تحطيمه. ربما الأولى قد حطمته بالفعل أو أن الألم الآن أكبر من أن يُعبّر عنه بأي رد فعل. ظل عمر واقفًا للحظات يتأمل ما تبقى من والده، ثم التفت إلى جلال بنظرة باردة خالية من الحياة وسأله بصوت هادئ : كيف قُتل ؟

- تردد جلال للحظة، ثم أجاب : رصاصة أُطلقت من الجهة الأخرى من الشارع .

تراجع عمر قليلاً وكأن الإجابة كانت متوقعة لكنها صعبة الهضم، همس لنفسه بصوت غير مسموع : مثل سارة... القاتل يسعى لإيذائي بأي وسيلة .

- جلال : نعم ؟

استدار عمر نحو جلال وقال بنبرة أكثر وضوحًا : القاتل مصمم على إيذائي عن طريق قتل كل المقربين لي .

- لديك شك فى شخص معين يريد أن يأذيك ؟

- أنا ضابط، في ناس كثيرة عايزة تأذيني. ابحث عن أي شخص التقى بوالدي وزوجتى في الأسبوع الأخير. افحص كل كاميرا واسأل أي شخص تحدثوا معه مؤخرًا، حتى لو كانت محادثة بسيطة. احنا متأكدين من وجود

رابط بين القضيتين. استمر في التدقيق في أي شخص خرج من السجن مؤخرًا وكنت أنا اللي سجنته. وأضاف ببطء : علاء عندما قتل أول ضحيتين، اتصل بي وسألني إذا كان لذلك تأثير علي. ربما يكون لدي علاقة بهم لكن فقدان الذاكرة يمنعني من معرفتها، والقاتل لا يعلم أنني فقدت الذاكرة. وبعد مقتلنا لعلاء دون أن يحدث تأثير علي، قرر شريكه الاستمرار بنفسه .

- جلال مقاطعًا لكن ما التأثير الذي من المفترض أن يحدث لك ؟

- غير حزني عليهم، لا أعلم .

- يمكن أن يكون هذا هو التأثير الذي يتحدث عنه. هناك شخص يريد أن يحطمك .

- لا أظم ذلك، قبل موت علاء، كان يوجه المسدس إلى رأسي وقال أنقذنا. قبل أن يقتله حسين .

- تنقذهم كيف وهو كان سيقتلك ؟

- لا أعلم، هناك الكثير من الأمور غير واضحة. لكن الشيء المؤكد هو أن من قتل عائلتي هو شريك لعلاء. بغض النظر عن الأسباب، دع بحثك يركز على ربط القضيتين ببعضهما البعض. وافق جلال بصمت وتركه لتكملة تحقيقاته. بينما توجه عمر إلى الطبيب الشرعي ليبحث عن أي تفاصيل قد تفيده. سأل الطبيب فور وصوله : هل هناك أي اختلاف في هذه القضية مقارنة بقضية سارة ؟

- الطبيب : حتى الآن تشابه تام، لكننا لم ننته بعد. سنحتاج بعض الوقت .

ترك عمر الطبيب وعقله مشغول بمحاولة فهم تلك الرسائل الغامضة التي تركها علاء قبل موته. لماذا يؤذوني وهم يطلبون المساعدة؟ وكيف يمكنني إنقاذهم وأنا ميت؟ كانت هذه الأسئلة تدور في ذهنه دون إجابات. كلما حاول الوصول إلى تفسير، زاد الأمر تعقيدًا .

فجأة، تذكر صلاح وذلك الشعور الذي كان يراوده بأنه يخفي شيئًا مهمًا. قرر عمر الذهاب إليه فورًا، فهو يشعر أن هناك سرًا يعلمه وقد يكون مفتاح حل اللغز. باندفاع وسرعة اتجه نحو صلاح، مصممًا على معرفة الحقيقة بأي وسيلة ممكنة .

****

عندما وصل عمر إلى المستشفى، كان عازمًا على مواجهة صلاح وكشف الأسرار التي يخفيها. لكن عند دخوله غرفته، وجدها فارغة. اجتاحه شعور من القلق، فسأل الممرضين عما حدث. اكتشف حينها أن صلاح توفي أمس، كان هذا الخبر صادمًا له، وأثار لديه شكوكًا حول احتمال أن تكون وفاته قد جرت عن عمد. بدأ عمر في التحقيق وسأل فريق التمريض إذا كان هناك احتمال لقيام شخص ما بقتل صلاح، قالوا أنهم سيعلموا بعد تشريح الجثة. استمر في سؤاله حول من زار صلاح قبل وفاته، قيل له إن والدته وبعض الجيران كانوا الزوار الوحيدين .

تحقق عمر من أسماء هؤلاء الجيران، لكنه لم يجد أي ارتباط بينهم وبين القضية أو ما يجعلهم مشبوهين. بدأ اليأس يتسلل إلى قلبه، فقد كان صلاح يمثل آخر آماله في العثور على إجابات .

أدرك عمر أن الأمور تزداد تعقيدًا وأن خيوط القضية تتلاشى واحدة تلو الأخرى. قرر مغادرة المستشفى والتوجه إلى مدافن والدته .

****

عندما وصل إلى قبر والدته، لاحظ بقايا الورد التي أحضرها في زيارته السابقة. كانت تلك عادة يتبعها دائمًا أن يضع وردة تعبيرًا عن حبه العميق لها. لكن هذه المرة نسي الوردة في خضم الأفكار والأحزان التي تملأ ذهنه. شعور الندم تغلغل إليه، فتوجه لأحضار ثلاث وردات ووضعهم على قبرها قبل أن يجلس أمامه بحزنٍ عميق .

بدأ عمر يتحدث بصوت منخفض يحمل معاناة : آسف أنني نسيت أن أحضر وردة هذه المرة، لكن مع كل ما أمر به، يصعب علي التفكير في الورد... المشكلة أنه من المفترض أن أحضر ثلاث وردات كل مرة الان. صمت لبرهة، ثم نظر إلى السماء وكأنه يبحث عن إجابة، وقال : هل يمكنني أن أطلب منك طلبًا هذه المرة؟ ادعي لي... لا أدري إذا كان ذلك ممكنًا، لكنني لا أستطيع فعل شيء آخر. تابع بصوت مختنق : قبل ثوانٍ، كنت أملك كل ما أحلم به، وفي لحظةٍ فقدت كل شيء. زوجتي التي لم أستطع أن أحب أحدًا مثلها... والطفل الذي حلمت به طوال عمري وفي اليوم الذي أذن فيه الله، لم أستطع حتى أن أفرح به لدقيقة واحدة. ثم والدي... الشخص الوحيد الذي كان يمكنه تخفيف آلامي بعد رحيل سارة. هو أيضًا تركني. لكن عارفة ما هو أكثر ما يؤلمني سكت للحظة قبل أن يتابع : أنهم قتلوا بسببي.

مسح عمر وجهه بيديه، ثم أضاف بحزنٍ أعمق : أعتقد أنه لا يوجد شيء أسوأ من أن يخسر أكثر الأشخاص حبًا لك حياتهم بسببك. والمشكلة الأكبر هي أنني لا أستطيع حتى أن أنتقم لهم. لكن إذا كان هناك شيء يعطيني بعض الراحة، فهو شعوري بأنني سأكون معكم قريبًا .

مع مرور الوقت، بدأت عيناه تغمضان ببطء واستسلم للنوم بجوار قبرها، وكأنه يجد في أحضان الأرض التي تحتضن والدته قليلًا من السلام .

حلم

وجد عمر نفسه مرة أخرى في مكان غريب ولكنه مألوف بطريقة ما. كانت الأرضية مغطاة بضباب خفيف، والأجواء تسودها هدوء مريب. فجأة، ظهرت الفتاة الصغيرة التي شاهدها في حلمه السابق وكانت تجري نحوه قائلة : تعال، سأريك شيئًا مهمًا! وما لبثت أن أمسكت بيده حتى استيقظ .

استيقظ عمر على رنين هاتفه في الواحدة صباحًا، وكان لا يزال متأثرًا بحلم رؤية الفتاة الصغيرة. رفع الهاتف ببطء وتحدث بصوت مبحوح : السلام عليكم .

- من الجهة الأخرى، جاءه صوت هادئ : وعليكم السلام، أنا اللواء عبد الرحمن الغندور، زميل الوالد الله يرحمه .

- أهلاً يا فندم .

- اللواء بحزن : البقية في حياتك يا عمر. والدك كان طلب مني أن أعتني بالترتيبات بعد وفاته، لتخفيف العبء عنك وقمت بترتيب العزاء وسيكون في دار الرحمة، سنبدأ أخذ العزاء بعد المغرب، لكن سيكون من المهم أن تحضر بعد العصر .

- حاضر يا فندم، سأتى في الموعد .

- البقاء لله مرة أخرى. وإذا احتجت أي شيء، فلا تتردد .

- شكرًا يا فندم .

- في رعاية الله .

- بعد انتهاء المكالمة، شعر عمر بقشعريرة تخترق جسده بسبب البرد الذي شعَر به أثناء النوم في الخارج. توجه إلى أقرب صيدلية ليحصل على حقنة لتخفيف آلامه. بعد ذلك، توجه إلى المسجد القريب من منزل والده، حيث جلس في هدوء محاولاً البحث عن بعض السكينة. أمضى الوقت هناك حتى صلاة العصر، مصلّيًا ومتأملاً في كل ما حدث وفي حلمه. بعد الصلاة، انطلق مباشرة إلى دار الرحمة، حيث سيقام عزاء والده، مستعدًا لمواجهة هذا اليوم الصعب بذكرياته وحزنه .

****

عندما وصل إلى دار الرحمة، استقبله اللواء عبد الرحمن وبعض أصدقاء والده القدامى لتقديم العزاء. قدموا له كلمات دعم صادقة وسألوه عما إذا كان يرغب في تعديل أي شيء في ترتيبات المكان، لكنه وافق على ما قاموا به، فقد كان فى حالة من اللامبالاة تجاه تلك التفاصيل الصغيرة. اقترح اللواء عبد الرحمن أن يتجه الجميع إلى مطعم قريب لتناول الطعام معًا واستعادة بعض الذكريات القديمة. خلال الجلسة، بدأ الأصدقاء في استرجاع ذكرياتهم مع والده، بما في ذلك اللحظات الطريفة والمواقف التي كشفت جوانب من شخصيته لم يكن عمر على علم بها. ورغم الحزن الذي يحيط بهم أضفت هذه الأحاديث بعض السعادة على قلبه وعرفته أكثر على والده .

مع أذان المغرب، عاد الجميع إلى دار الرحمة لمتابعة العزاء. بدأت مجموعات من زملاءه السابقين والحاليين بالتوافد، بالإضافة إلى بعض أفراد الشرطة الذين جاؤوا لتقديم واجب العزاء. استمر العزاء بتوافد الحضور ومغادرة آخرين، وكانت لدى عمر دهشة من حضور بعض الأشخاص الذين لم تكن له معهم علاقة وطيدة. لكن الشخص الذي أثار اهتمامه حقًا كان حسين، إذ لم يتوقع عمر أن يأتيه للعزاء، خاصة بعد الشجار الذي حدث بينهما في آخر لقاء لهما.

جلس حسين لعشر دقائق فقط، ثم نهض ليستعد للمغادرة. اقترب من عمر، وسلم عليه بيد بينما وضع اليد الأخرى على كتفه، قائلاً : البقاء لله يا عمر، أنا عارف صعوبة الموقف عليك . كانت كلمات حسين تحمل وزنًا كبيرًا في نفس عمر. حاول الاستمرار في استقبال المعزين الآخرين، لكن ذهنه كان مشغولاً بتلك الكلمات. ظل يراقب حسين وهو يغادر، ولم يستطع منع نفسه من التفكير في السبب الحقيقي وراء قدومه وما كان يقصده بتلك الجملة. بعد انتهاء العزاء وقبل منتصف الليل بقليل، عاد عمر إلى منزله. كانت مشاعر الحزن تسيطر عليه، لكنه لم يستطع التوقف عن التفكير في حسين وكلماته .

اكتشاف

٢٠٢٥/١/٩

قضى عمر الليل مستلقيًا على سريره، محاطًا بأفكار مستمرة تتعلق بحسين. كان يشك في وجود حقد مخفي من حسين تجاهه، خاصة بعد إخفاقه في حل القضية قبل وفاة والده. كانت فكرة أن يصل هذا الحقد إلى حد إلحاق الأذى بعائلته تساوره بشدة. ومع ذلك، بدأ يتساءل في نفسه : هل يمكن أن يصل الحقد إلى هذا الحد؟

في سعيه للحصول على إجابات، حاول الاتصال بجلال، لكن الهاتف ظل يرن دون إجابة. لذا قرر عمر أن يؤجل التفكير في الأمر حتى يتمكن من رؤية جلال في الصباح. تناول أدويته المهدئة، آملاً أن تساعده في تهدئة عقله من تلك الأفكار المتشابكة. مع مرور الوقت، بدأ يشعر بالنعاس يتسلل إليه ببطء، واستسلم للنوم .

حلم

وجد عمر نفسه مكلفًا بالتحقيق في قضية اختطاف طفل يبلغ من العمر سبع سنوات. انتقل سريعًا للحديث مع والدي الطفل المفقود، اللذين كانا في حالة من القلق الشديد، حيث أخبراه بأن ابنهما اختُطف أثناء عودته من المدرسة. حاول عمر تهدئتهما، مشيرًا إلى احتمال أن يكون الطفل قد ضل طريقه بدلاً من أن يكون مختطفًا. ومع ذلك، أصر الوالدان بشدة على أن ابنهما لا يمكن أن يضل الطريق، فهو يعود من المدرسة بمفرده كل يوم ويعرف الطريق جيدًا. كانت كلماتهم تحمل مزيجًا من الخوف واليقين .

أخذ عمر صورة الطفل من الوالدين وبدأ في البحث على الطريق المؤدي إلى المدرسة. استفسر من جميع المحلات والأشخاص في المنطقة، لكنه لم يعثر على أي أدلة أو أثر للطفل. الساعات الاولى لأختطاف طفل هى الأهم وكان يشعر بأن الوقت يمر بسرعة، مما تطلب منه التحرك بشكل أسرع. أثناء البحث، لفت انتباهه ملجأ للأطفال واقع بالقرب من المسار المعتاد للطفل. بدا المكان عاديًا، ولكنه شعر بشيء غير مريح به جعله يرغب في التحقق منه .

قرر التوجه نحو الملجأ، مؤمنًا أنه قد يكون المكان الذي يحتاج إلى فحصه بدقة في سعيه للعثور على الطفل .

استيقظ عمر في الحادية عشرة صباحًا على رنين هاتفه، وجد جلال على الخط. بدون مقدمات، بدأ جلال بسؤاله : كنت تتصل بي في الليل لأمر ما، أليس كذلك ؟

- أجاب عمر بصوت يتضمن مزيجًا من التردد والقلق : أريد أن أسألك عن شئ، حسين ظهر في أى كاميرات مراقبة حول زوجتى أو والدي ؟

- تردد جلال قبل أن يرد : لا.....، هل تشك أن حسين هو القاتل ؟

- لا أدري، لكن حسين غير متزن نفسيًا منذ وفاة والده، وعندما جاء العزاء أمس شعرت وكأنه سعيد وأردت استبعاد جميع الاحتمالات .

- رد جلال بحدة : حسين طوله يزيد عن ١٨٠ سم، وأعتقد أن مقاس حذائه أكبر من ٤١، لذا فهو ليس القاتل. إذا أردت التحقيق معه، يمكننا ذلك، لكن الوضع لن يكون لطيفًا بالنسبة لك في القسم عندما يعلموا أنك تتهم زميلاً لك في جريمة كهذه .

- أنت محق، المواصفات ليست متطابقة. أنا فقط مشوش في الأيام الأخيرة .

- السبب في استبعاد الضباط من التحقيق في جرائم أسرهم هو أن عواطفنا تؤثر على قدرتنا وحكمنا، ما يزيد من نسبة الخطأ. حاول أن ترتاح قليلاً ودعنا نتولى الأمر قبل أن تتهم زملاءك، فقد تكون أنت أيضًا غير متزن .

أنهى جلال المكالمة قبل أن ينتظر رد عمر، الذي شعر بالندم على اتهامه زميله دون دليل واضح، لكنه لم يستطع تجاهل الشكوك التي كانت تتزايد في ذهنه. كان يعلم أن كل احتمال يجب أن يُدرس بعناية، حتى لو كان يتعلق بشخص قريب له .

بينما كان يفكر عمر فى المحادثة، تذكر حلمه الأخير وبدأ يسترجع تفاصيل مهمة. في اليوم الذي فقد فيه ذاكرته، كان يحقق في قضية اختطاف طفل، وأثناء التحقيق سقط على رأسه في ملجأ وفقد الذاكرة .

تساءل عمر إن كان هذا الملجأ هو نفسه الذي ذكره صلاح. قرر البحث مجددًا في أرشيف الشرطة عن قضية اختطاف الطفل، محاولاً جمع شظايا اللغز. توجه إلى الأرشيف وبدأ البحث بتركيز، ويحاول فهم سبب ظهور هذا الحلم الآن. تساءل : لماذا أرى هذه الأنواع من الأحلام في الوقت الحاضر ؟ كانت أحلامي السابقة تتعلق بذكريات لأشخاص أحبهم، لكن لماذا أستعيد قضايا سابقة الآن؟

بعد بحثه، تأكد أن الملجأ في الحلم هو ذاته المرتبط بقضية سفاح الأعضاء، وأيضًا مرتبط بقضية اختطاف الطفل. وما زاد القلق هو أن الطفل لم يُعثر عليه أبدًا ولم يعد إلى والديه. قرر عمر التحدث مع والدي الطفل، لكنه اكتشف بعد البحث أنهم هاجروا قبل خمس سنوات. بذل جهدًا للعثور على رقم هاتفهم، لكن لم يجد معلومات مفيدة. عاد عمر إلى منزله يشعر بالإحباط من هذه الطرق المسدودة.

وعندما دخل، وصلته رسالة من رقم غريب في تمام الساعة الحادية عشرة مساءً. كانت الرسالة مختصرة وغامضة : تعال وحيدًا بعد نصف ساعة إلى هذا المكان إذا كنت تريد معرفة حقيقة الجرائم. تضمنت الرسالة إحداثيات المكان. حاول عمر إعادة الاتصال بالرقم، لكن الهاتف كان مغلقًا. تزايد التوتر، لكنه أدرك أن هذه قد تكون فرصته لكشف الحقيقة. أحضر مسدسه ومفاتيح سيارته، وانطلق إلى المكان المُحدد في الرسالة. كان يدرك أن هذه الخطوة قد تكون محفوفة بالمخاطر، لكنه لم يكن ليفوت الفرصة لمعرفة الحقيقة .

****

رصد عمر سيارة حسين متوقفة بالقرب من المبنى، فقرر أن يترك سيارته بعيدًا ويتوجه بحذر سيرًا على الأقدام، حريصًا على عدم إحداث أي صوت يكشف عن وجوده. كانت يده تلامس المسدس، مستعدًا لما قد يحدث. عندما اقترب من المبنى القديم، لاحظ ضوءًا خافتًا يخرج من نافذة مكسورة.

تقدم بحذر إلى داخل المبنى، حتى وصل إلى غرفة مظلمة مضاءة فقط ببقعة ضوء تسلطت على سبورة معلقة على الحائط. كانت الصور الموزعة على السبورة تشير إلى شيء ما، لكنها لم تكن واضحة تمامًا من زاويته. في وسط الغرفة، كان حسين واقفًا أمام السبورة، مسدسه في يده ولكنه لم يكن يصوبه نحو شيء محدد .

لم يتردد عمر، بل رفع مسدسه ببطء وصوبه نحو رأس حسين قائلاً بصوت هادئ : ولا حركة وارمي المسدس .

- ألقى حسين مسدسه على الأرض بهدوء من دون أن ينظر إلى عمر، سائلاً : عمر! أهذا أنت ؟

- عمر بصوت يملؤه الغضب : بتعمل إيه هنا ؟

- حسين بهدوء مع رفع يده : وصلتنى رسالة للحضور هنا إذا كنت أريد معرفة الحقيقة عن موت والدي. آخر مرة تواصلنا فيها كانت في العزاء ومن المؤكد أن من دعاك هو نفس الشخص الذي دعاني .

- لم يكن عمر مقتنعًا تمامًا، فسأله بحدة : وكنت تقصد إيه بعبارة أنا عارف صعوبة الموقف عليك التي قلتها لي أثناء العزاء ؟

- كنت فقط أشعر بالانزعاج منك لأنك لم تتمكن من القبض على القاتل قبل أن يقتل والدي، فكررت نفس الجملة التي قلتها لي في عزاء والدي بهدف إزعاجك .

- وما الدليل الذي يثبت أنك ليست لك علاقة بالجريمة ؟

- تقصد ما الدليل الذي يثبت أن لى علاقة بالجريمة ؟

- الدافع... بكراهيتك ليا. أنا عارف إن المُنفذ شخص آخر، لكنك الوحيد الذى يمتلك الدافع وممكن تكون شريك .

- التفت حسين إلى عمر بثبات قائلاً : إذا كان لدي الدافع في قضية قتل عائلتك، فما هو دافعي في قضية سفاح الأعضاء ؟

- تأمل عمر للحظة، ثم قال : لا أعلم حتى الآن، لكن ما أنا متأكد منه هو أن القضيتين متصلتان ببعضهما البعض، وأن هناك أكثر من طرف ساهم في ارتكابهما. ودخول القاتل بيتك وقتل والدك كان مستحيل أن يحدث من دون مساعدة داخلية، ربما لديك دوافع خفية لفعل كل ذلك من البداية .

- حسين بدهشة : ما هو نوع الدافع الذى قد يجعلنى أقتل والدي؟ وإذا قمت بذلك، فهل سأشعر بالحزن تجاهه ك.....

كلماته انقطعت فجأة على إثر رصاصة اخترقت رأسه. في لحظة سقط حسين على الأرض بلا حراك، مما أصاب عمر بالصدمة، لكن بدون تفكير، استدار بسرعة نحو صوت الطلقة وأطلق النار، لكن مسدسه لم يخرج أي رصاصة .

سمع صوت ضحكة باردة تتردد في أرجاء الغرفة، ضحكة امرأة قادمة من الظلام. كان صوتها مليئًا بالسخرية وهي تقول : كنت محق، القاتل تلقى مساعدة داخلية عشان يقتل المحافظ، لكن المساعد ليس حسين .

فجأة ظهرت مريم، أخت حسين من بين الظلال. كانت تتقدم نحو عمر ببطء، عيناها تتلألأن بعزم قاتل، بينما كان مسدسها موجهاً نحو رأسه. تجمد عمر للحظة، لم يكن يتوقع هذا التحول المفاجئ في الأحداث .

- ألقت مريم بعض الطلقات على الأرض، وقالت : ليس من الجيد أن تكون ضابط ولا تعرف إذا كان سلاحك محشواً أم فارغًا ؟

- استمر عمر في التحديق بها لبضع ثوانٍ، غير قادر على استيعاب ما يحدث. ثم قال أخيرًا بصوت متردد : ليه ؟

- أجابت ببرود : لأنهم استحقوا ذلك، تصمت لحظة ثم تتابع : لكن بعد التفكير، ليس الجميع، لكن يمكننا القول إن النتيجة تستحق. ثم أضافت : عارف لما تكون حياتك مجرد لعبة في يد شخص آخر؟ مجرد تجربة تنجح أو تفشل؟ حياة لا تستحق فيها أي شئ؟ مجرد اتولدت عشان تكون فأر تجارب لغيرك؟ لكن على الأقل الفار اتخلق كحيوان. إنما لما تتعامل مع إنسان على إنه حيوان، فأنت بتجعله كائن أقل رتبة من ذلك. وفكرة أنى كائن أقل رتبة استمرت تلاحقنى طوال حياتى. حتى لحظة معينة، اللحظة التى تغيرت فيها أفكارى وسعيت للانتقام من الأشخاص الذين كانوا السبب في تدمير حياتى. أنت طبعًا عارف التجارب التي كان يقوم بها سيادة المحافظ. لكن لا تعرف ما حدث للأطفال في تلك التجارب، أو حتى بعد انتهائها. البعض منهم تم قتلهم لأنه كانوا متأكدين من عدم وجود فائده لهم. والباقي تم توزيعه على أشخاص مختلفة، وأنا كنت من نصيب سيادة المحافظ. التجربة استمرت بطريقة مختلفة الآن. كانوا بيراقبونا في ظروف بعيدة عن المعامل، مع أسر تعتبر طبيعية، لكن هذا الجنون بعيد كل البعد عن الطبيعي. فالمحافظ كان شخص سيئ مثل الدكاترة والمديرة والعامل، وجميعهم استحقوا القتل .

ثم أنهت مريم حديثها ببرود، وكأنها تضع النقطة النهائية : أعتقد القضية واضحة الان، أم تحتاج إلى شرح مفصل لتفاصيل قتل هؤلاء الاشخاص ؟

- حاول عمر كبح غضبه : وزوجتى والدى... ما دخلهم في هذة القضية ؟

- بعد ما اتقابلنا في المطعم، اتأكدت إنك أنت الضلع الناقص. الضلع اللي حول القضية من مجرد انتقام لحاجة أكبر بكثير. فقررت أقابل والدك ومراتك وأصدقائك، وأي شخص له علاقة بك، لحد ما توصلت لحاجة مهمة...

كانت عينا عمر مشدودتين إلى مريم، منتظراً بفارغ الصبر الإجابة .

- نظرت إليه مريم بعينين مليئتين بالألم، وقالت : إنك تنقذنا .

- مرة أخرى أنقذكم ! أنقذكم من إيه ؟ ومين أنتم ؟ سأل، متوتراً بشكل أكبر .

- أطفال الملجأ طبعاً. عارف كم طفل مات أو عانى من عمليات جراحية في أجسامهم؟ لأختبارات نفسية؟ لأطفال مختطفين؟ لتجربة عشرات من العقاقير وتأثير كل تجربة علينا. وعندما فشلت كل الاختبارات، أعطونا أدوية لفقد الذاكرة، وتم إنهاء المشروع مع توزيع بعض الأطفال على أسر مختلفة لمراقبتهم فى أجواء مختلفة .

- وكيف تذكرتِ كل ذلك ؟ الدواء فشل في التأثير عليكِ ؟

- الدواء لم يفشل، مثلما لم تفشل الاختبارات .

- ما هو الهدف من الاختبارات أذن منذ البداية ؟

- تجارب تهدف إلى تعزيز قدرات البشر .

- الدولة كانت على علم بتلك التجارب ؟

- الدولة كانت على دراية بالتجارب الأولى، لكن تم إغلاق المشروع بعد عدم تحقيق نتائج ملموسة. ومع ذلك، كان هناك من يرى أن السبب وراء الفشل هو عدم محاولة استكشاف كل الخيارات لأسباب أخلاقية وإنسانية. لذا قرر بعضهم الاستمرار في المشروع سراً، بلا أي رقابة أو قيود، وكان المحافظ بالطبع واحداً منهم .

- وكيف علمتِ بكل هذا ؟

- قبل أن أجيب على سؤالك، يجب أن تعرف أن بداية المشروع كانت تهدف لتحسين القدرات الجسدية. لكن لاحقاً، تم التركيز على شيء أكثر أهمية، وهو تحسين القدرات العقلية. وأهم تجربة كانت تهدف إلى جعل البشر قادرون على رؤية المستقبل .

شعر عمر بالارتباك والدهشة في ذات الوقت، كان يحاول استيعاب ما تقوله مريم، لكن الأمور كانت تتجاوز أى تفسير منطقى .

- تابعت مريم : تلك التجربة كانت محط اهتمام المحافظ، لكنها فشلت .... بطريقة ما على الأقل. ففي حالتي نجحت التجربة لكن بطريقة مختلفة. بدلاً من القدرة على رؤية المستقبل، أصبحت أستطيع رؤية ذكريات من الماضي. فأصبحت أرى ماضي أي شخص ألمسه. توقفت مريم لبرهة، وكأنها تمنح عمر فرصة لأستيعاب ما تقوله، ثم أضافت : أعتقد أن هذا يوضح لك كيف تمكنت من التفوق عليكم إلى الان .

- اعترض عمر على كلامها : ما تتحدثين عنه مستحيل .

- أجابت بهدوء : لديك الحرية في تصديق ما تريد .

- وما علاقة علاء بالأمر ؟

- عندما قابلت علاء صدفة وتبادلنا التحية، أدركت ماضيه واكتشفت أنه كان أيضاً طفلاً خضع للتجارب. وعندما عرف أنني أستطيع معرفة ذكريات الناس من خلال لمسة وأثبت له قدرتي، قررنا الانتقام فى هذة اللحظة من الذين تسببوا في أذيتنا .

- كيف أثبتِّ له قدرتك ؟

- في لحظة مصافحتي له، رأيت كل ما مر به. كل الألم وكل اللحظات التي حاول الهروب منها. حكيت له عن أشياء لا يعرفها سوى هو، تفاصيل من ماضيه كالأيام التي قضاها في الملجأ والتجارب التي خضع لها والندوب التي على جسده وسببها. كنت أشاركه أشياء دُفنت في نفسه، وأشياء كان يعتقد أنها طويت، وعندما سمعني في البداية كذَّب ما قلته، لكن بمرور الوقت فهم علاء أنني لست مجرد شخص يكذب عليه، بل إن قدرتي حقيقية. وهذا ما جعلنا نتحد في هدفنا، ونسعى لتحقيق العدالة ممن أساءوا إلينا .

- لنفترض تصديقى لكل ما تقوليه، فما علاقة زوجتي ووالدي بهذا الأمر ؟

- لا علاقة لزوجتك على الأقل... لكن السؤال الأهم هو : ما علاقتك أنت بهذه القضية؟ هل تعلم أن والدك كان جزءًا من هذا المشروع؟ أو بالأحرى والدك بالتبني. أعتقد أنك لم تكن تعلم هذه المعلومة أيضًا، لكن الحقيقة أنَّك كنت أيضًا جزءًا من المشروع. لقد كنت بمثابة فأر تجارب مثلى، لكن قبل وقت طويل. للدقة فى التجارب الأولى التي أجريت على المشروع قبل أن يتم إيقافه .

كانت الصدمة ظاهرة على وجه عمر، لكن مريم استمرت في حديثها دون أن تمنحه فرصة لإدراك الموقف : هل تعلم ما هي أكبر مشكلة في هذا المشروع؟ أنهم لم يكن لديهم فكرة عن كيفية قياس نجاحه من عدمه. اعتمدوا بالكامل على تصرفات الأطفال بعد التجارب. وفي حالتك، نجح المشروع، لكن بدون علمهم، ولم يدركوا أن نجاحك مرتبط بشيء آخر .

- أصبح صوتها أكثر برودة وهي تضيف : والشيء الاخر هو... أنا .

بينما واصلت مريم سردها عن ماضي عمر والتجارب التي أجريت عليه، كان عمر يحاول تحليل الموقف وتفحص المكان بعينيه بحثًا عن أي شيء يمكن أن يستخدمه في صالحه. كان يحاول تقدير المسافة بينها وبينه، يراقب حركاتها، ويتساءل عما إذا كان هناك شيء يمكن أن يمنحه الفرصة للسيطرة على الموقف وإيقاف هذا الجنون .

واصلت مريم حديثها : بعد إعادة المشروع، أُجريت العديد من التجارب علي، بما في ذلك إعادة لبعض التجارب التي أجريت عليك، مع تجارب أضافية أخرى. وهذا في رأيي، هو ما أدى إلى التفاعل بيننا عندما لمسنا بعض أول مرة قبل ١٤ عامًا، في ذلك اليوم عندما كنت تحقق في قضية الطفل المفقود... أو بالأحرى الطفل المتوفى، حيث قادتك تحقيقاتك إلى الملجأ. نفس الملجأ الذى كنت فيه ومن تلك اللحظة، بدأت أرى ماضي أي شخص ألمسه.

كان الأمر صعبًا في البداية على طفلة صغيرة، حاولت كثيرًا التحدث عما يجري لي، لكن كل شخص لمسته أظهر لي أشياء أكدت أن من الأفضل أن أحتفظ بهذه القدرة لنفسي. وعندما عمل حسين معك وأجرى والدى أبحاثه عنك وعرفت منه بعد لمسي له أنك فقدت الذاكرة في الملجأ خلال التحقيق حول اختطاف طفل، أيقنت أنني يجب أن أراك. جئت إلى المطعم خصيصًا لأجلك. لكى ألمسك مرة أخرى. بعد أن سلمت عليك رأيت كل ذكرياتك التي فقدتها. لكن لم أتمكن من رؤية ذكرياتك بعد لمسي لك لأول مرة، مما جعلني متأكدة من أن هذه الحياة التي نعيشها في الواقع ليست حياتنا، وأن تجربة رؤية المستقبل قد نجحت بالفعل، وبداية تفعيلها كان عندما لمسنا بعض. أنا أصبحت أرى الماضي وأنت ترى المستقبل .

- قاطعها عمر قائلاً : أنتِ تدركين الجنون الذي تقولينه أليس كذلك .

- تجاهلت مريم كلامه وأكملت : لكن كانت هناك مشكلة، وهي أنك سعيد في حياتك هذه، بالرغم من بعض المشاكل التي واجهتها، لكنك كنت ستختار أن تعيشها كل مرة. لذلك كان يجب أن أتصرف... رغم ترددي في البداية لأن زوجتك من الأشخاص الطيبين الذين نادرًا ما أصادفهم، لكن كان هذا هو الحل الوحيد، خصوصًا بعد معرفتي بأنها حامل وتستعد لإخبارك يوم احتفال زواجكم. لم يكن لديك أي سبب لتغيير حياتك. زوجة تحبك، طفل تريده بشده، ووظيفة محترمة... الحل كان أن أجعل حياتك جحيمًا لأضمن أنك لن تسلك نفس الطريق إذا عاد بنا الزمن مرة أخرى. بالرغم من أن ما أقوله هو مجرد نظريات وقد تبدو مجنونه لك إلا أنها ما زالت مبنيه على أسس قوية، وأيضًا هى أفضل حل أمامى لتصليح كل ألاخطاء، وعقلى يرفض تصديق أى شئ بخلافها. على أى حال .

توقفت مريم للحظة وأخذت بعض الوقت، كأنها تستعد للخطوة الأخيرة، وبصوت مملوء بالعزم : فاضل حاجة واحدة بس لازم تعرفها... ٤٧٨٩٢٥ . أشوفك قبل ١٤ سنة. ثم وجهت المسدس الى رأس عمر وأطلقت النار .

حقيقة

٢٠١١/١/٣

استفاق عمر ببطء، وهو يشعر بالضياع والارتباك، ليجد نفسه ملقى على الأرض. كان الألم يعتصر رأسه بشدة . وعندما فتح عينيه تمامًا، رأى أمامه فتاة صغيرة بجوار مشرفة من الملجأ، تنظر إليه بقلق .

- هل أنت بخير؟ سألت المشرفة بصوت مليء بالقلق، بينما كانت الفتاة تراقبه بصمت .

- تنفس عمر بعمق محاولاً استعادة تركيزه، وأجاب بصوت ضعيف : آه، لا توجد مشكلة... مجرد دوار بسيط .

بعد أن استعاد وعيه بالكامل وبدأ في تجميع أفكاره، لم يستطع الانتظار أو البقاء في مكانه، فقد كان هناك إحساس قوي بضرورة التحرك. على الرغم من أن المشرفة طلبت له كرسيًا وكوب ماء، إلا أنه قطع حديثها بحزم واتجه مباشرة داخل الملجأ .

بدأ البحث في كل الزوايا والأركان وأخيرًا عثر على القبو السري مخفي تحت الأرض مع باب مغلق بقفل إلكتروني. استدار إلى المشرفة وسألها عما إذا كانت تعرف شيئًا عن هذا القبو، لكن نظراتها الحائرة وتعابير وجهها أكدتا عدم معرفتها بأي شيء .

وقف عمر أمام الباب برهة وهو يفكر في الخطوة التالية، ثم قرر الاتصال بالشرطة. فجأة تذكر الرقم الذي سمعه من مريم ٤٧٨٩٢٥. أدخله مسرعًا على لوحة المفاتيح، فانفتح الباب .

نزل إلى القبو ليكتشف غرفًا زجاجية، بعضها مغطى بستائر وأخرى لا. كان المشهد مروعًا، فالأطفال محتجزون في ظروف قاسية تحت الأرض .

بعضهم نحيفًا لدرجة أنهم أشبه بالهياكل العظمية، بينما عانى آخرون من زيادة وزن مفرطة. كانت أجسادهم تحمل آثارًا من جروح وكدمات، ظلوا يراقبوا كل حركة لعمر بدون كلام من وراء الزجاج، فقط يراقبون تحركاته بخوف وانكماش .

حاول عمر إيجاد وسيلة لفتح الأبواب الإلكترونية لإنقاذهم، لكنه لم يعرف الطريقة. جرب إدخال نفس الكود في أبواب الغرف المغطاة بالستائر ولكن بدون جدوى. في النهاية، قرر الانتظار للمختصين الذين سيأتوا مع الشرطة .

بعد فترة قصيرة، سمع صوت صافرات الشرطة تقترب. خرج لمقابلتهم وطلب منهم إحضار خبراء إلكترونيين لفتح الأبواب. كما طلب من الطب الشرعي أن يفحص البصمات بدقة، وقد أكدوا له أنهم سيتولون ذلك .

بعد يوم طويل مليء بالتوتر، نجحت الشرطة أخيرًا في إنقاذ جميع الأطفال. كان معظمهم في حالة صدمة كبيرة، وتم استدعاء مختصين نفسيين لمساعدتهم على تجاوز هذه المحنة .

بعد التأكد من سلامة الأطفال، قرر عمر أن يتحدث مع مريم الصغيرة. اقترب منها بابتسامة، وقال لها بصوت هادئ : أنتِ لا تعلمي ماذا فعلتِ بي... ولكن أريدكِ أن تظلي تتذكرين أن جميع الأطفال الذين أنقذناهم اليوم كانوا بسببك. لا أعرف كيف من المفترض أن أتعامل معكِ الان لكنى أعلم أن الظروف كانت صعبة عليكِ وأنا أثق أنكِ في ظروف أفضل ستكونين أفضل شخص في العالم .

في تلك اللحظة وصل العقيد عبد الغني، مأمور القسم ليهنئ عمر على جهوده العظيمة في حل القضية وأمره بالذهاب للبيت للراحة، موجهًا له بالإعداد لتقرير القضية في اليوم التالي .

****

عندما وصل عمر إلى البيت، شعر بإرهاق جسدي وعقلي بعد يوم طويل مليء بالأحداث والحقائق الصادمة. لكنه عندما رأى والده مستيقظًا ويقرأ كتابًا، عرف أن الوقت قد حان للحديث عن الأمور التي كانت تزعجه. جلس أمامه وقال بوجه جامد : من الجيد أنك ما زلت مستيقظًا... أود التحدث معك .

- رفع والده عينيه من الكتاب وسأله بقلق : ما الأمر ؟

- أجابه عمر : اليوم حللت قضية تتعلق بأطفال في ملجأ خضعوا لتجارب غير إنسانية .

- استفسر والده بدهشة : تجارب غير إنسانية !

- أومأ عمر برأسه واستأنف : نعم، كان مشروعًا قديمًا يهدف إلى تحسين قدرات البشر، لكن تم إعادة فتحه بشكل غير قانوني وقاموا بخطف الأطفال لإجراء جميع أنواع التجارب الممكنة عليهم. توقف لحظة ثم أضاف : ولم يكن الأمر مقتصرا على ذلك... لقد اكتشفت أنني كنت جزءًا من المشروع الأول قبل أن يُغلق .

نظر عمر مباشرة إلى عيني والده بعد أن قال ذلك، منتظرًا أي رد فعل. كان يتوقع صدمة أو اعترافًا أو حتى إنكارًا، لكنه لم يكن مستعدًا لصمت والده. مرت لحظات ثقيلة قبل أن يسأل عمر بمرارة : لديك ما تقوله ؟

- ببطء وضع والده الكتاب على الطاولة، وبدت الكلمات ثقيلة عليه. أخيرًا، همس بصوت خافت : أنا آسف .

- خيم الصمت عليهما حتى تنفس بعمق واستأنف : كان هذا المشروع جزءًا من زمن مختلف، زمن كنت آنذاك أظن أن ما نفعله يصب في الصالح العام. لكن مع مرور الوقت، أدركت أن الإجراءات التي اتخذناها كانت خاطئة حتى إذا كانت بمعرفة الدولة وندمت عليها أشد الندم .

صمت قليلاً ثم تابع .

- أفهم أن لا شيء يمكن أن يغير ما فعلناه. لكن أريدك أن تعرف دائمًا أنني أحبك..... وأنك ابني، بغض النظر عن روابط الدم. فأنت ابنى، أكثر شخص أحبه فى العالم ولا أريد لمعرفتك بما حدث أن تؤثر على علاقتنا. فبعد انتهاء المشروع، أنا اخترتك، كما اخترتني أنت ايضًا. بالرغم من الأخلاقيات الخاطئة للمشروع، فقد حرصت دائمًا على عدم تعرضك للأذى. وأحببتك أكثر من أى شخص، تمامًا كما أحبتك والدتك رحمها الله. لقد كنت دائمًا ابنًا لنا وستظل للأبد .

شعر عمر بثقل هذه الكلمات، فهي لم تكن مجرد اعتراف، بل كانت محاولة للتواصل والتمسك بالعلاقة الأسرية بينهما. ففي عيني والده رأى حزنًا عميقًا بسبب مخاوفه من فقدان ابنه نتيجة لما تم الكشف عنه .

نظر عمر إلى والده، وكانت مشاعره متنازعة بين الحب والحيرة. قال بصوت متردد : لا أعلم ما يجب أن أقوله، أظن أننى سأحتاج لبعض الوقت .

بعد تلك الكلمات، شعر عمر بحاجة للاختلاء بنفسه ليفكر فيما سمعه ويفهم كل ما مر به. توجه إلى غرفته وقضى الليل مستلقيًا على السريرمحاولاً النوم. لكن الأفكار كانت تلاحقه بلا توقف. كلما أغمض عينيه كانت كلمات والده تتردد في رأسه محملة بالحب والألم في آن واحد. بقي مستيقظًا طوال الليل يتقلب في فراشه بينما تزداد حدة الأفكار كانت الساعات تمر ببطء، ومع ذلك لم يتمكن من العثور على الراحة. مع شروق الصباح أدرك أنه لن يستطيع النوم، وأن عليه مواجهة يوم جديد حتى وإن كان غير مستعد له تمامًا، فقرر الذهاب إلى العمل .

٢٠١١/١/٤

عندما دخل عمر إلى القسم استقبله زملاؤه بتصفيق حار. كانت تلك اللحظة غير متوقعة بالنسبة له لكنه شعر بالامتنان والدعم من زملائه الذين قدّروا الجهد الكبير الذي بذله في حل القضية. بابتسامة خفيفة وجه إليهم الشكر ورد التحية محاولاً أن يظهر تماسكه رغم الصعوبات التي واجهها. توجه مباشرة إلى مكتبه وسلم التقرير المفصل حول القضية. لم يمضِ وقت طويل حتى استدعاه قائده، الذي تحدث إليه بنبرة تعكس الفخر والاعتزاز : قضية مثل هذة ستساهم في رفع اسمك، خذ باقي اليوم إجازة واستمتع بوقتك .

مرت الأيام ومع الزمن بدأت القضية تأخذ مجراها في المحاكم. كانت التحقيقات مكثفة، حيث تم فحص كل التفاصيل بعناية للوصول إلى العدالة، وفي النهاية صدر الحكم في القضية التي أزعجت المجتمع بأسره. حُكم بالإعدام على الدكتور سمير المهدي والدكتورة سعاد، بينما حُكم على المديرة آية والفراش صلاح نوح بالسجن المؤبد. أما اللواء ياسر، فقد كانت نهايته غامضة إذا قُتل على يد مجهول ولم يتم التعرف على القاتل، مما أضاف بعدًا آخر من الغموض لتلك القضية. ورغم الجهود الكبيرة في التحقيق، ظلّت هذه الجريمة بلا حل، تاركة وراءها العديد من الأسئلة دون أجابة .

مع انتهاء المحاكمات، شعر عمر أنه أغلق فصلًا كبيرًا من حياته، لكن تلك الأحداث تركت أثرًا عميقًا في نفسه. لقد واجه حقيقة مروعة تتعلق بماضيه والأشخاص الذين كان يثق بهم. والآن عليه المضي قدمًا محاولاً التعايش مع ما اكتشفه والسعي لاستعادة السلام الداخلي الذي تلاشى بسبب تلك الوقائع .

٢٠١٤/٧/١

مع مرور الزمن والمحاولات على تخطى ما مر به من صعاب، قرر عمر أن الوقت قد حان لإحداث تغيير جذري في حياته. فقد أثقلت الأحداث الأخيرة كاهله ودفعته لإعادة تقييم مسيرته المهنية. مثل والده، بدأ يشعر أن الاستمرار في عمله كشرطي قد لا يكون الخيار الأنسب له في هذه المرحلة، واتخذ القرار الصعب بترك الشرطة، مؤمنًا بأن الحياة تحمل أوجهًا جديدة قد تمنحه السلام الذي يسعى إليه. كانت المزرعة التي يمتلكها والده دائمًا ملاذًا للهدوء والراحة بالنسبة له، حيث تذكر لحظات البساطة والسكينة التي عاشها بعيدًا عن ضجيج المدينة. لذا قرر أن يكرس كل وقته وجهده للمزرعة، مدركًا أنها قد تكون فرصة لإصلاح العلاقة مع والده. كان هناك الكثير من الأمور التي تحتاج إلى مناقشة وأخرى تتطلب معالجة. تعاونهم في العمل بالمزرعة والتواصل معًا قد يكون فرصة لإعادة بناء الثقة والروابط التي تعرضت للاهتزاز .

في البداية، كانت الحياة الجديدة تمثل تحديًا صعبًا، لكن مع مرور الوقت تأقلم عمر مع ظروفه الجديدة وبدأ يشعر بتراجع الضغط الذي كان يعاني منه، وأصبحت الحياة البسيطة في المزرعة تمنحه نوعًا من السكينة والتوازن الذاتي الذي طالما بحث عنه. ومع الأيام، شهد تحسنًا في العلاقة مع والده، وكأن تلك المزرعة كانت الأرض الخصبة لإعادة بناء الروابط الأسرية التالفة .

النـهايـة

٢٠١٦/٨/١٩

أعتقد أن الرواية قد تمت مراجعتها للمرة الأخيرة وأصبحت جاهزة للنشر، ومن ثم قمت بإرسالها إلى دار النشر.

٢٠١٦/٨/٢٧

عندما لاقت روايتي اهتمام دار النشر، شعرت بحماس شديد وسعادة كبيرة وأنا في طريقى لتوقيع العقود في مكتب النشر قابلت عبد الرحمن صديقي القديم الذي كان دائمًا يشجعني على الكتابة. هو الذي حفزني على استغلال وقتي وتجربتي في الشرطة لكتابة الرواية، كما وعد بمساعدتي في نشرها .

- بعد الترحاب، قال عبد الرحمن مبتسمًا : الرواية رائعة جدًا يا عمر. لكن لماذا اخترت اسمك كمسمى للشخصية الرئيسية ، وكتبتها وكأنها أحداث حقيقية ؟

- ابتسمت ونظرت إليه قائلًا : ومَن قال إنها ليست حقيقية؟ ضحك عبد الرحمن، ثم انشغلنا بتوقيع العقود .

بعد الانتهاء من التوقيع، شعرت بنوع من الإنجاز والسلام الداخلى، كأن جزءًا كبيرًا من رحلتي قد اكتمل. هممت بالانصراف وخرجت من دار النشر وأنا أشعر بالرضا والهدوء. كانت رحلة مليئة بالأحداث والذكريات، بعضها مؤلم وبعضها مشرق. قررت التوجه إلى مقهى قريب لأستمتع بفنجان من القهوة . كانت اللحظة هادئة، وعقلي أخيرًا ارتاح من التفكير في كل ما جرى. وفجأة، سمعت أغنية "Love Between Two Hearts" قادمة من محل لفساتين الزفاف أمامي، مما أعاد لي الذكريات. تلك الذكريات التى لم أعشها مطلقًا أو ربما عشتها في عالم آخر. بينما كنت غارقًا في تلك الأفكار، اقتربت مني امرأة وسألت بلطف إذا كان بإمكانها الجلوس على الكرسي المقابل. نظرت إليها لبرهة عاجزًا عن الكلام وعلامات الدهشة على وجهي ، ثم ابتسمت وقلت لها : طبعًا .

النـهايـة